



الأزهر الشريف
قطاع المعهد الأزهرية

تيسير
شرح جوهرة التوحيد

للشيخ إبراهيم البيجوري ١٢٧٧ هـ

للصف الثاني الثانوي

لجنة إعداد وتطوير المناهج بالأزهر الشريف

١٤٤٥ هـ

٢٠٢٣ - ٢٠٢٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول رب العالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين أجمعين، وبعد:

فهذا هو الجزء الثاني من كتاب (تيسير شرح البيجوري على جوهرة التوحيد) المقرر على طلاب الصف الثاني الثانوي، وهو امتداد للجزء الأول الذي قدم مبادئ علم التوحيد، والتعريف بالتكليف والمكلف، وأقسام الحكم العقلي، والتقليد، والنظر ومسالكه، والإيمان والإسلام، والصفات الإلهية.

ويأتي هذا الجزء ليتمكن الطالب من دراسة موضوعات تتعلق بأفعال العباد، والتوفيق والخذلان، والوعد والوعيد، والصلاح والأصلح، والقضاء والقدر، ورؤية الله تعالى، وحاجة البشر إلى الرسالة، والوحي وأنواعه، والرسول، والواجب والمستحيل والجائز في حقهم، والمعجزة، ومعجزات نبينا ﷺ، وكرامات الأولياء، واعتقادنا في الصحابة.

وقد استهدف الكتاب تقريب وتيسير هذه الموضوعات إلى أذهان الطلاب بأسلوب مبسط، يتواءم مع الواقع، رغبة في إعداد جيل مسلح بالايان بعقيدة الإسلام قادر على التفكير والابتكار والنقد، ومواجهة تحديات الواقع الحاضر بحلول مناسبة.

وقد صيغت موضوعاته بطريقة تتيح للطلاب أن يكون فعالاً داخل الصف، مشاركاً في نشاطات الدرس وتدريباته المتنوعة - بين مقالية وموضوعية - من

٧- الاهتمام بالتقويم بمعنى إتباع كل درس بعدة اختبارات متنوعة - مقالية وموضوعية - من شأنها قياس ما حصله الطلاب من معارف ومعلومات وتعمل على زيادة فاعلية تحصيل المعلومات لديهم، على اعتبار أن التقويم له دور مهم في ذلك.

٨- استبعاد الهوامش والشروحات المضمنة بها.

وفي النهاية نسأل الله العلي القدير أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يفيد منه طلاب العلم إنه نعم المجيب.

أجل تنمية مهارات التفكير العليا، مثل القدرة على الاستنتاج والتلخيص والمقارنة والموازنة ... وغيرها.

وقد اهتمت اللجنة التي قامت على إخراج هذا الكتاب بعدة منطلقات أساسية في إعدادة نجملها فيما يلي:

١- تحديد أهداف عامة للكتاب تسهم في توضيح الرؤية فيما يتعلق بنوعية المحتوى الذي يحتاجه الطلاب، واختبار خبراته التعليمية من معارف ومهارات وطرق تفكير ...

٢- الاهتمام بالمرحلة العمرية التي يمر بها الطلاب، وهي مرحلة تتطلب فهم المجردات بأسلوب مبسط.

٣- الاهتمام باللغة المستخدمة في الكتاب، حيث روعي في الصياغة تيسير ما غمض من عبارات الكتاب، من خلال اختيار جمل بسيطة ومفردات تكون في متناول الطالب.

٤- استبعاد ما لا صلة له بعلم التوحيد من تفريعات هي أقرب ما تكون إلى علوم أخرى كالفقه وعلوم اللغة وغيرها.

٥- استبعاد أبيات المنظومة التي لا تناسب الطلاب الذين أعدت لهم هذه الطبعة.

٦- إضافة عنوان لكل مبحث وعناوين أخرى فرعية تعين على فهم المادة العلمية، وتسهم في إثراء خبرات الطلاب، وزيادة رغبتهم في التعلم.

- ١٢- يوضح المقصود بخوارق العادات، معدداً إياها، ضارباً أمثلة لكل نوع.
- ١٣- يتتبع معجزات النبي ﷺ المادية والمعنوية، مفرقا بين المعجزة والكرامة.
- ١٤- يوضح المقصود بختم الرسالات، وعموم الرسالة، ونسخ الإسلام للشرائع السابقة، مستدلاً على ما يذكر.

أهداف الدراسة في الصف الثاني الثانوي

يتوقع بعد دراسة هذا المقرر تحقيق ما يلي:

- ١- يصنف أفعال العباد موضحاً كل قسم.
- ٢- يوضح آراء العلماء وأدلتهم في علاقة الأسباب بالمسببات.
- ٣- يتعرف معاني التوفيق والخذلان والهدى والضلال.
- ٤- يوضح المقصود بالوعد والوعيد والسعادة والشقاوة وما يرتبط بذلك من أحكام.
- ٥- يبين آراء العلماء في الصلاح والأصلح، موضحاً أدلة كل رأي.
- ٦- يذكر آراء العلماء في معنى القضاء والقدر، موضحاً متى يجوز الاحتجاج بهما.
- ٧- يناقش آراء العلماء في رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة، موضحاً أدلة كل رأي.
- ٨- يستنتج حاجة البشر للرسالات السماوية.
- ٩- يحدد معنى الوحي في اللغة والاصطلاح، مبيناً أنواعه، ومستدلاً على إمكانية وقوعه، وحصوله بالفعل.
- ١٠- يفرق بين النبي والرسول، موضحاً ما يتعلق بهما من أحكام.
- ١١- يوضح ما يجب في حق الرسل، وما يجوز، وما يستحيل، موضحاً النصوص التي توهم عدم عصمتهم عليهم السلام وكيفية فهمها على الوجه الصحيح.

١- خلق أفعال العباد

قَالَ النَّازِمُ رحمته:

فَخَالِقٌ لِعَبْدِهِ وَمَا عَمِلَ * * *

لما كان التوحيد يقتضي إفراد الله - تعالى - بالخلق ترتب عليه أنه - تعالى - خالق للعباد وأعمالهم.

أفعال العباد قسمان:

١- أفعال اضطرارية وهي التي لا دخل للإنسان فيها وتحدث حسب مشيئة الله تعالى وقدرته، سواء شعر الناس بها أم لا، فالعقول ومقدار ما يودع فيها من ذكاء أو غباء وغيرها كالحياة والموت وسعة الرزق وضيقه كل ذلك لا يد للإنسان فيه؛ فالقدر هو الذي يوجد ذلك كله، وليس هذا محل مؤاخذه ولا محاسبة، وليست موضوعاً للثواب والعقاب، والإيمان بهذا النوع من القدر واجب؛ قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾^(١).

٢- أفعال اختيارية: كالسير والكلام وسائر الطاعات والمعاصي، فالإنسان يشعر عند أدائها بيقظة عقله وحرية ميوله، وتلك هي مجال المسؤولية والجزاء ثواباً وعقاباً، وهذه الأفعال الاختيارية محل خلاف بين أهل السنة وغيرهم نعرضه فيما يلي:

(أ) يرى (الجبرية) أن الإنسان مجبور، ليس له إرادة أو قدرة. فهو كالريشة المعلقة في الهواء، تحركها الرياح كيف تشاء. فليس لله شريك في فعله.

(١) سورة التوبة . الآية: ٥١ .

(ب) ويرى (المعتزلة) أن العبد هو الذي يوجد أفعاله الاختيارية بقدرة أودعها الله فيه، وعليها يترتب تكليفه، وينتفي الظلم عن الله تعالى.

(ج) وقد حاول (أهل السنة) أن يقفوا موقفاً وسطاً بين الفريقين؛ تنزيهاً لله تعالى عن الظلم الذي يلزم الجبرية، ومن شبهة الشرك التي تلزم المعتزلة. فقالوا: إن لأفعال العباد الاختيارية جهتين:

(١) جهة خلقها وإيجادها: وهذه لله لا يشاركه فيها أحد.

(٢) وجهة كسبها: وهذه للعبد، حتى يصح تكليفه ومجازاته، فلا يكون هناك ظلم ينسب لله تعالى.

المقصود بالكسب عند أهل السنة:

إن إيجاد الفعل يمرّ بعدة مراحل:

١- الإرادة التي ترجح وجوده على عدمه.

٢- القدرة التي تتعلق به.

٣- الفعل نفسه.

٤- المقارنة بين الفعل والقدرة.

فيرى (الأشاعرة) أن الكسب هو: تعلق قدرة العبد بالحادثه بالفعل المقدور ومقارنتها له. فهو المرحلة الرابعة. أما المراحل الثلاثة السابقة، فليس للعبد فيها دخل، إنما هي من خلق الله تعالى.

ويرى المعتزلة أن الكسب هو الإرادة الحادثه. أي العزم والتصميم. وهو من فعل العبد. وعليه يترتب التكليف والمجازاة. ولا يقولون بالمقارنة (المرحلة الرابعة) قال الناظم رحمته:

وعندنا للعبد كسبٌ كُلفاً * * * ولم يكن مؤثراً فلتعرفنا
فليس مجبوراً ولا اختياراً * * * وليس كلاً يفعل اختياراً
فإن يُثبنا فبمحض الفضل * * * وإن يُعذب فبمحض العدل
واستدل أهل السنة على ما ذهبوا إليه بالعقل والنقل.

الدليل النقلى:

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١)، وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى صَانِعٌ كُلِّ
صَانِعٍ وَصَنَعْتُهُ»^(٢).

الدليل العقلي:

الدليل الأول: أن فعل العبد ممكن في نفسه، وكل ممكن فهو مقدور لله - تعالى -،
ولا شيء مما هو مقدور لله - تعالى - واقع بقدرة العبد.
الدليل الثاني: لو كان العبد موجدًا لأفعاله بالاختيار والاستقلال لوجب
أن يَعْلَم تفاصيلها، لكنه لا يعلم تفاصيل أفعاله، فلا يكون موجدًا لها باختياره
واستقلاله.

المذاهب في علاقة الأسباب بالمسببات:

- ١- من اعتقد أن الأسباب العادية كالنار، والسكين، والأكل، والشرب تؤثر
في مسبباتها كالحرق، والقطع، والشبع، والرّي بطبعها وذاتها، فهو كافر
بالإجماع.
- ٢- ومن اعتقد أنها تؤثر بقوة خلقها الله فيها. كما يقول المعتزلة: إن العبد
يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقدرة أودعها الله فيه، فهو فاسق مبتدع.

(١) سورة الصافات . الآية: ٩٦ .

(٢) رواه البخاري في حَلَقِ أفعال العباد، والبيهقي في الأسماء والصفات عن حذيفة.

٣- ومن اعتقد أن المؤثر هو الله، لكن جعل بين الأسباب ومسبباتها تلازمًا
عقليًا، بحيث لا يصح تخلفها، فهو جاهل، وربما جرّه ذلك إلى الكفر،
فقد ينكر معجزات الأنبياء لكونها على خلاف العادة.

٤- ومن اعتقد أن المؤثر هو الله، وجعل بين الأسباب والمسببات تلازمًا
عاديًا، بحيث يصح تخلفها، فهو المؤمن الناجي إن شاء الله.

* * *

٢- التوفيق والخذلان أو الهدى والضلال

قَالَ النَّازِمُ رحمته:

..... * * * مُوَفَّقٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِلَ
وَحَاذِلٌ لِمَنْ أَرَادَ بُعْدَهُ * * *

هذه المسألة متفرعة عن مسألة خلق أفعال العباد؛ ولذا فأهل السنة لما قالوا: إن العبد وأفعاله مخلوقه لله - تعالى - قالوا في تعريف التوفيق هو: خلق الله قدرة الطاعة في العبد.

وقالوا في تعريف الخذلان: إنه خلق قدرة المعصية في العبد.

أما التوفيق عند المعتزلة فمعناه: إظهار الآيات في خلقه الدالة على وحدانيته، وإبداع العقل، والسمع، والبصر في الإنسان، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب؛ لطفاً منه - تعالى - وتنبهها للعقلاء من غفلتهم، وتقريباً للطرق إلى معرفته، وبيانا للأحكام؛ تمييزاً بين الحلال والحرام، وحيث إنه - تعالى - فعل ذلك فقد وفق وهدى.

وعند المعتزلة لا يتصور من الله خذلان ما دام قد أقام للناس الحجّة.

أدلة أهل السنة:

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾^(١)، وقال: ﴿إِنَّكَ لَا

(١) سورة الأنعام . الآية: ١٢٥ .

تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(١)، وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾^(٢)، وقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٣).

وكلّ عاقل إذا تأمل الملابس والألطف التي هيأها الله - تعالى - للمهتدي حتى أوصلته إلى الهداية، من عوامل الوراثة، والغريزة، والتربية، والبيئة، والتعليم والاكْتِسَاب، إضافة إلى ما رزقه الله - تعالى - من حبّ الهداية، وانسراح صدره لها مما لا يد له فيه، ولم يفعله بنفسه، وإنما باشر أسبابها، وعرف أنه ليس أهلاً لأن يُلقِيها الله - تعالى - فيه، إذا تدبّر ذلك كله عرف حقاً أن الهدى والتوفيق لا يُنسبان إلا إلى الله وحده، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾^(٤).

* * *

(١) سورة القصص . الآية: ٥٦ .

(٢) سورة السجدة . الآية: ١٣ .

(٣) سورة فاطر . الآية: ٨ .

(٤) سورة البقرة . الآية: ١٢٠ .

٣- الوعد والوعيد

قَالَ النَّاطِمُ رحمته:

وَخَاذِلْ مَنْ أَرَادَ بُعْدَهُ * * * وَمُنْجِزْ لِمَنْ أَرَادَ وَعْدَهُ

الوعد لغة: أن تُمنِّي غيرك بشيءٍ.

ولفظة الوعد تستخدم في الخير والشر، فتقول: وعدته خيراً، ووعدته شراً، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(١)، وقال: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَُمُ النَّارِ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّ الْمَاصِرِ﴾^(٢).
والوعد شرعاً: كل خبر يتضمَّن إيصال نفعٍ إلى الغير، أو دفع ضرر عنه في المستقبل.

الوعد لغة وشرعاً:

الوعد لغة: التخويف والتهديد، ولا يستعمل إلا في الشر، قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخْضَعُوا لِدَيْ وَقَدْ قَدَّمْتُمْ إِلَيَّ بِالْوَعِيدِ﴾^(٣).

والوعد شرعاً: كل خبر يتضمن إيصال ضرر إلى الغير، أو تفويت نفع عنه في المستقبل.

والله تعالى قد وعد بالثواب من أطاعه، وتوعَّد بالعقاب من عصاه، والجنة هي دار الثواب، والنار هي دار العقاب، فما حكم هذا الوعد، وذاك الوعد؟ بمعنى: هل يمكن أن يتخلف وعده عز وجل وكذا وعيده؟.

(١) سورة المائدة . الآية: ٩ .

(٢) سورة الحج . الآية: ٧٢ .

(٣) سورة ق . الآية: ٢٨ .

حكم الوعد والوعيد

أولاً: حكم الوعد:

اتفقت كلمة العلماء من الأشاعرة والماتريدية على أن وعده - تعالى - للمؤمنين بالجنة داراً للثواب وعداً لا يتخلف بفضله ورحمته.

واستدلوا على ذلك بنصوص الشرع، وحكم العقل:

أما الأدلة النقلية فمنها قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الِّمْعَادَ﴾^(١)، أي: الوعد، وقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾^(٢)، وقال: ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ﴾^(٣)، ولو تخلف الوعد لتبدل القول.

والعقل حاكمٌ بذلك؛ لأنه لو تخلف ما وعد الله به عباده من الثواب، فإنه يلزم الكذب في خبره - تعالى -، كما يلزم السفه والخلف في وعده - تعالى -، وكل ذلك باطل؛ لأنه نقص، وهو - سبحانه - مُنَزَّهٌ عن كل نقص.

ثانياً حكم الوعيد:

اختلف رأي الأشاعرة عن رأي الماتريدية في حكم الوعيد.

فذهبت الأشاعرة إلى أنه يجوز أن يُخلف الله وعيده في حق من يشاء من عباده، وذلك ليس نقصاً في حقه - تعالى -، بل يُعدُّ كرمًا يُمتدَّح به كما يشير إلى ذلك قول الشاعر:

وَإِنِّي إِذَا أَوْعَدْتَهُ أَوْ وَعَدْتَهُ * * *
..... * * * لِمُخْلِيفِ إِعَادِي وَمَنْجِزِ مَوْعِدِي

(١) سورة آل عمران . الآية: ٩ .

(٢) سورة الروم . الآية: ٦ .

(٣) سورة ق . الآية: ٢٩ .

الجواب عن هذه الأدلة:

الجواب عن الدليل الأول: أنه لا يلزم من تخلف الوعيد كذب؛ لأن الكريم إذا أخبر بالوعد فاللائق بكرمه أن يبني إخباره على المشيئة، وإن لم يصرح بها، فإذا قال الكريم لأعدبن زيداً، مثلاً، فنيته إن شئت بخلاف الوعد، فإن اللائق بكرمه أن يبني إخباره على الجزم، وقد قال رسول الله ﷺ: «من وعده الله على عمله ثواباً فهو منجز له، ومن أوعده على عمله عقاباً فهو بالخيار، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له»^(١).

والجواب عن الثاني: أن التبديل الممنوع إنما هو تبديل القول في وعيد الكفار، أو من لم يرد الله - تعالى - له عفوًا، فالآية محمولة على ذلك.

والجواب عن الثالث: أنه لا يلزم تجويز عدم خلود الكفار في النار؛ لأن جواز تخلف الوعيد مخصوص بمن يجوز العفو عنه، فلا ينافي خلود الكفار في النار؛ لأنه لا يجوز العفو عن الكفر بنص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾^(٢)، فهذه الآية مقيدة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾^(٣). فالصحيح أن الله - تعالى - يجوز في حقه أن يخلف وعيده.

والأشاعرة والماتريدية متفقون على أن الكافر مخلد في النار، وعلى أن بعض المؤمنين يُغفر لهم، إلا أن الأشاعرة يقولون: إن آيات الوعيد تشمل هذا البعض المغفور له، وعند المغفرة تخلف الوعيد فيه.

(١) رواه البزار في مسنده والطبراني في الأوسط.

(٢) سورة النساء . الآية: ٤٨ .

(٣) سورة الزمر . الآية: ٥٣ .

وقالوا: الوعد حق العباد على الله؛ لأنه فضلٌ وعد به المطيع، وضمن عطاءه له فهو أولى بالوفاء، أما الوعيد فهو حقه - تعالى - على العباد، وصاحب الحق إن شاء عفا، وإن شاء أخذ، والعفو عند المقدرة أليق بالكريم، فكيف بمن هو مع كرمه البالغ عظيم الرحمة؟.

وليس معنى هذا أن الوعيد بالعقاب لن يتحقق، وإنما المراد أنه مبني على مشيئة الله - تعالى - إن شاء نفذ وعيده، وإن شاء عفا.

وذهبت الماتريدية إلى امتناع تخلف الوعيد، فلا بد من تحققه ولو في شخص واحد، بخلاف مذهب المعتزلة الذين قالوا: يجب تنفيذ الوعيد في كل الأفراد.

أدلة الماتريدية:

وحجبتهم في ذلك: أنه يلزم على جواز تخلف الوعيد مفسد، منها:

١- الكذب في خبره تعالى؛ لأنه قال: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾^(١)، وقد قام الإجماع على تنزيه خبره - تعالى - عن الكذب.

٢- تبديل القول في حقه تعالى، وقد قال تعالى: ﴿مَا يبدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾^(٢).

٣- تجويز عدم خلود الكافرين في النار، وهو خلاف ما قامت عليه الأدلة القطعية من خلودهم فيها، والتي منها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٣).

(١) سورة النساء . الآية: ١٤ .

(٢) سورة ق . الآية: ٢٩ .

(٣) سورة البقرة . الآية: ٣٩ .

والماتريدية يقولون: إن الآيات الواردة بعموم الوعيد مستثني منها المؤمن المغفور له، أما غير المغفور له فلا بد من إنجاز الوعيد فيه؛ لأن الوعيد لا يتخلف.

ثمره الخلاف:

أنه يصح على مذهب الأشاعرة أن ندعو ونقول: اللهم اغفر لجميع المؤمنين جميع ذنوبهم، ولا يصح ذلك على مذهب الماتريدية؛ لأن من المؤمنين من لا يغفر له ذنبه إلا بعد نفوذ الوعيد فيه.

وينبغي أن يُتنبه إلى أن جواز تخلف الوعيد لا يعني وقوعه بالنسبة لكل من توعدّه الله بالعقوبة، حتى لا يكون هناك اتكأ على هذا، بل الأمر موكول إلى مشيئة الله تعالى، وهو - تعالى - لا يُجَادَع، فمن تُسَوَّل له نفسه أن يتكلم على العفو والمغفرة فعليه أن يعرف أن الله - تعالى - أعلم بالسرائر، فهو العليم بخلقه.

٤- السعادة والشقاوة

قَالَ النَّاطِمُ رحمته الله:

فَوَزُّ السَّعِيدِ عِنْدَهُ فِي الْأَزَلِ * كَذَا الشَّقِيِّ ثُمَّ لَمْ يَنْتَقِلِ

السعادة والشقاوة لغة:

السعادة لغة: التوفيق والإعانة.

والشقاوة لغة: الشدة والعسر والمحنة والضلال.

السعادة والشقاوة شرعاً:

اتفق الأشاعرة والماتريدية على أن السعيد من خُتِم له بالإيمان، حتى ولو كان قبل ذلك كافراً، وأن الشقي من خُتِم له بالكفر، حتى ولو كان قبل ذلك مؤمناً.

لكن اختلفوا: بم يحكم عليه في أثناء حياته قبل أن تعرف حَاتِمَتُهُ التي سينتهي إليها؟

فذهب الأشاعرة إلى أن السعادة هي الموت على الإيمان باعتبار تعلق علم الله - تعالى - القديم بذلك، والشقاوة: هي الموت على الكفر باعتبار تعلق علم الله - تعالى - القديم بذلك، وعليه فالسعيد عندهم هو من علم الله - تعالى - ألا موته على الإيمان، والشقي من علم الله - تعالى - ألا موته على الكفر.

والإسلام علامة على السعادة، وليس السعادة نفسها، وكذلك الكفر علامة على الشقاء، وليس الشقاء ذاته.

فالأشاعرة ينظرون في السعادة والشقاوة إلى ما هو مقدر في علم الله الأزلي، فمن كتب له السعادة أزلًا فإنه لن يُحْتَمَ له إلا بها، حتى ولو كان قبل ذلك كافرًا، ومن كتب عليه الشقاء فإنه سيُحْتَمَ له به حتى ولو كان قبل ذلك مؤمنًا.

فالسعيد لا ينقلب شقيًّا، والشقي لا ينقلب سعيدًا، فمن حُتِمَ له بالسعادة فهذا معناه أنه كان كُتِبَ له في الأزل أنه سعيد، ومن حُتِمَ له بالشقاء فهذا معناه أنه مكتوبٌ له قبل ذلك في الأزل أنه شقيٌّ، فالخاتمة تدل على السابقة. ولذا قَالَ النَّاطِمُ:

فوز السعيد عنده في الأزل * كذا الشقي ثم لم ينتقل

واستدل الأشاعرة على مذهبهم بالحديث الذي رواه البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»^(١).

وبالحديث الذي رواه الطبراني والبيهقي: «السعيد من سعد في بطن أمه، والشقي من شقي في بطن أمه».

كما قالوا: لو انقلب الإنسان من السعادة إلى الشقاوة، أو العكس للزم انقلاب علم الله - تعالى - القديم جهلاً، وهو محال في حقه - تعالى -؛ لأنه نقص.

شبهة وجوابها:

قد يقول قائل: إن هذا هروب من العمل، وتَحَلُّلٌ من المسؤولية، بحجة أن الأمر مفروغٌ منه، فلا فائدة في اجتهاد المجتهد نحو السعادة إذا كان في علم الله

(١) متفق عليه.

- تعالى - مكتوبًا من الأشقياء، ولا داعي لعمله واجتهاده إذا كان في علمه - تعالى - من السعداء.

والجواب:

أن الله - تعالى - علم في الأزل كل ما سيحدث في الوجود، بما في ذلك ما سيؤول إليه أمر كل إنسان منّا، ولا يُعْقَل الكمال الإلهي إلا على هذا الوجه، ومتى كان العلم السابق بما سيحدث مسئولًا عما يحدث؟ فلو أخبر أحد المعلمين وليَّ أمرٍ طالبٍ في أثناء عامه الدراسي بالنتيجة المتدنية المتوقعة لابنه في نهاية العام من واقع معرفته بالطالب، وحصل ما أَخْبَرَ به، فهل من حق وليَّ الأمر أن يجعل عِلْمَ الأستاذِ وخَبْرَه بهذه النتيجة مسئولًا عن نتيجة الطالب؟!!

ولو فحص مهندسٌ أحدَ المباني، وكتب تقريرًا يفيد أن المبنى آيلٌ للسقوط، وعلى سكانه أن يتركوه فورًا، وحدث ما توقَّعه المهندس فهل لصاحب المبنى أن يُحْمَلَ المهندسَ مسئوليةً ما أخبر وتوقَّع؟، كلاً، والله المثل الأعلى.

إن علم الله - تعالى - الأزلي بما سيقع كاشفٌ لما سيحدث، وليس مؤثراً فيه، ومُثَبِّتٌ لكمال الله - تعالى - الذي لا يُنْصَوَّرُ أن يكون إلا على هذا الوضع، ويبقى الإنسان الذي عمل كل شيء بمحض اختياره هو المسئول عما كسبت يده، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

السعادة والشقاوة عند الماتريدية:

ذهبت الماتريدية إلى أن السعادة هي الإيمان في الحال، والشقاوة هي الكفر في الحال، فالسعيد هو المؤمن في الحال، وإذا مات على الكفر فقد انقلب شقيًّا بعد أن كان سعيدًا، والشقي هو الكافر في الحال، وإذا مات على الإيمان فقد انقلب سعيدًا بعدما كان شقيًّا.

ولا يخفى أن الماتريدية ينظرون إلى حالة الإنسان التي هو عليها في الدنيا، وذلك بخلاف نظرة الأشاعرة، فإنها - كما سبق - إلى المآل والخاتمة.

المترتب على الخلاف:

يترتب على هذا الخلاف أنه يصح أن يقال على مذهب الأشاعرة: أنا مؤمن إن شاء الله، بناءً على أن الحكم بالإيمان مرتبط بالخاتمة، وهي مجهولة، ولا يصح ذلك على رأي الماتريدية، بناءً على أن المؤمن في حالته الراهنة مؤمن، فليس بحاجة إلى أن يقول: إن شاء الله، فلو قال ذلك فهو ككشّابٍ يقول: أنا شابٌّ إن شاء الله، وكطويلٍ يقول: أنا طويلٌ إن شاء الله، كما يصحّ أن يقال على مذهب الأشاعرة: أنا سعيدٌ إن شاء الله، ولا يصحّ ذلك على مذهب الماتريدية.

٥- الصلاح والأصلح

قال الناظم رحمته الله:

وقولهم **إنَّ الصَّلاحَ واجبٌ** * * عليه زورٌ ما عليه واجبٌ
ألم يَروا إيَّامَه الأطفالا * * وشبَّهَها فحاذِر المَحالا

قال المعتزلة: إذا كان هناك أمران: أحدهما صلاح والآخر فساد. وجب على الله أن يفعل الصلاح منهما للعبد دون الفساد، وإذا كان هناك أمران أحدهما صلاح والآخر أصلح منه وجب على الله فعل الأصلح؛ لأن فعل الصلاح والأصلح هو الذي يتفق مع وصف الله بالحكمة والعدل، وبناءً على هذا الرأي يرى المعتزلة أن الله لا يفعل ما فيه إضرار بمصالح الناس لأن الإضرار قبيح والله لا يفعل القبيح، ولأن الإضرار بهم يتنافى مع عدل الله وحكمته.

وقال معتزلة بغداد: الوجوب يشمل الدين والدنيا.

وقال معتزلة البصرة: الوجوب يشمل الدين فقط.

وهذه المسألة كانت سبباً لافتراق الشيخ أبي الحسن الأشعري من شيخه أبي علي الجبائي. فإن أبا الحسن سأل الجبائي في درسه وقال: ما تقول في ثلاثة إخوة - أي مثلاً - مات أحدهم كبيراً مطيعاً، والآخر كبيراً عاصياً، والثالث صغيراً؟
فقال الجبائي: الأول يثاب بالجنة، والثاني يعاقب بالنار، والثالث لا يثاب ولا يعاقب.

فقال له الأشعري: فإن قال الثالث: يا ربِّ، لم أمتني صغيراً، وما أبقيتني فأطيعك، فأدخل الجنة. ماذا يقول الرب؟

وقد حاول المعتزلة الرد على هذه الاعتراضات ولم يستطيعوا أن يقدموا إجابة شافية، وكان ذلك سبباً في انشقاق أبي الحسن الأشعري عن المعتزلة كما تقدم.

فقال الجبائي: يقول الربُّ: إني أعلم أنك لو كبرت عصيت، فتدخل النار، فكان الأصلاح لك أن تموت صغيراً.

فقال الأشعري: فإن قال الثاني: يا ربِّ. لِمَ تُمتني صغيراً، فلا أدخل النار. ماذا يقول الربُّ؟

فُهِتَ الجبائي: فترك الأشعري مذهبه، واشتغل هو وأتباعه بإبطال ما ذهب إليه المعتزلة، وإثبات ما وردت به السنَّة، ومضى عليه الجماعة، فلذلك سُمُّوا بأهل السنة والجماعة.

ردُّ أهل السنة:

قالوا: لو وجب عليه الصلاح والأصلاح لعباده، لما خلق الكافر الفقير المعذب في الدنيا بالفقر، وفي الآخرة بالعذاب الأليم المخلد.

وقالوا: لو وجب عليه فعلٌ أو ترك، لما كان مختاراً؛ لأن المختار هو الذي إن شاء فعل، وإن شاء ترك.

تعليق:

وقد وجه إلى رأي المعتزلة كثير من الاعتراضات وهي في جملتها وتفصيلاتها قائمة على أساس أن في إيجاب الصلاح والأصلاح على الله تقييداً لإرادة الله تعالى وتحديدًا للصلاح والأصلاح من وجهة نظر إنسانية، ونظرة الإنسان محدودة نسبية.

كما يوجه إليهم ما نراه في العالم أحياناً من زلازل وأوبئة وبراكين تهلك الحرث والنسل، كما يعترض عليهم أيضاً بما يقع لكثير من الناس من أمور لا صلاح لهم فيها، فقد أعطى أقواماً الصحة فكان سبباً لوقوع المعاصي منهم، وأصاب أقواماً بالأمراض فسخطوا وكانوا في صحتهم شاكرين وهكذا.

٦- القضاء والقدر

قَالَ النَّازِمُ رحمته الله:

وواجبٌ إيماننا بالقَدْرِ * وبالْقَضَا كما أتى في الخَبَرِ

القضاء والقدر من الأمور التي يجب الإيمان بها شرعاً، بمعنى أن نعتقد أن كل شيء واقع بقضاء الله وقدره، لأن الإيمان بها عبارة عن التصديق بعلم الله وإرادته وقدرته، فعلم الله أحاط بكل شيء وحسب علمه كتب كل شيء. ودليل وجوب الإيمان بالقضاء والقدر: قوله رحمته الله حينما سأله جبريل عليه السلام: ما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدرة خيره وشره»^(١).

وما روي عن عليٍّ كرم الله وجهه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربعة: يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره»^(٢).

ويقول الله في الحديث القدسي: «من لم يرض بقضائي ويصبر على بلوائي فليطلب رباً سواي»^(٣).

فجعل الإيمان والرضا بالقضاء والقدر خيره وشره قريناً للإيمان بالله وملائكته ... الخ، فمن كفر بشيء من هذا رُدَّ عليه إيمانه بالباقي، لأن الإيمان وحدة لا تتجزأ.

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه الترمذي وصححه الحاكم.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير والبيهقي في الشعب.

تعريف القضاء والقدر:

ورد لفظ القدر في اللغة على معان: القضاء والحكم، ومبلغ الشيء، والطاقة، والتضييق.

فيدور معناه في اللغة حول بيان كمية الشيء ومقداره.

القضاء: الحكم والصنع، والختم، والبيان، والتقدير، والإخبار، والأمر، والإزالة، وقضى: مات، وقضى عليه: قتله، وقضى وطره: أتمه وبلغه.

وترجع معاني القضاء في اللغة إلى معنى انقطاع الشيء وتمامه.

وقد انقسم أهل السنة في تعريف القضاء والقدر إلى قسمين:

(أ) الأشاعرة:

يقولون إن القضاء هو إرادة الله أزلاً المتعلقة بجميع الأشياء خيرها وشرها على ما هي عليه فيما لا يزال - أي: الواقع الحاضر - ولا فرق في ذلك بين أفعال العباد وغيرها. فهو من صفات الذات.

أما القدر: فهو إنجاز قضاء الله وإخراجه إلى حيز الوجود، أي: إيجاد الأشياء على قدر مخصوص ووجه معين، فهو تعلق القدرة بالحادثة، فهو من صفات الفعل فالقضاء عندهم قديم، والقدر حادث.

(ب) الماتريدية:

يعرفون القضاء بأنه: إيجاد الله الأشياء مع زيادة الأحكام والإتقان فهو صفة فعل، فالقضاء راجع إلى قدرة الله، والقضاء عندهم حادث والقدر قديم.

ويعرفون القدر بأنه: تحديد الله أزلاً كل مخلوق بحده الذي يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وخير، فهو راجع إلى علم الله.

والخلاصة: أن القضاء والقدر لكل منهما معنى مستقل، فالقدر معناه: علم الله تعالى ما تكون عليه المخلوقات في المستقبل، فهو راجع لصفة العلم، والقضاء معناه: إيجاد الله تعالى الأشياء حسب علمه وإرادته فهو راجع إلى صفة القدرة، وبعض العلماء عرّف كل منهما بتعريف الآخر، ولا ضرر فمرجع القضاء والقدر إذن إلى العلم والإرادة والقدرة.

آراء الفرق في القضاء والقدر:

١- القدرية الأولى: هم أصحاب معبد الجهني البصري أول من أثار الكلام في هذا الموضوع، وزعم أن علم الله لم يسبق وجود الأشياء وقال هذه المقالة الشنيعة: إن الأمر أنْفٌ، أي: يَسْتَأْنَفُ اللهُ عِلْمَ الأشياء عند حدوثها، وهو قول باطل، لأنه ينسب إلى الله سبحانه الجهل بالأشياء قبل حدوثها، وأن أفعاله ليست عن علم ولا تدبير سابق؛ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. وهؤلاء كفار بلا خلاف، يدل عليه كلام ابن عمر رضي الله عنهما حين سأله يحيى بن يعمر فقال: يا أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرؤون القرآن ويتفقرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنْفٌ. فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أي بريء منهم وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر... إلخ^(١).

وقد انقرض أشياخ هذا المذهب ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه.

٢- المعتزلة: وقد نشأت بعد الفرقة السابقة فرقة أخرى اشتهروا باسم القدرية الثانية ولكنهم أقل غلوًا من سلفهم وهؤلاء هم المعتزلة الذين اعترفوا

(١) رواه الخمسة إلا البخاري.

بالعلم وقالوا: إنه سبحانه قدر الأشياء كلها أزلًا، أي أحاط علمًا بما سيقع منها وما لا يقع، سواء منها ما كان من أفعاله سبحانه أو من أفعال العباد خيرها وشرها، إلا أن أفعال الإنسان الاختيارية مخلوقة للعبد بقدرة أودعها الله فيه وواقعة بإرادته واختياره، وإلا لما كان هناك معنى للتكليف والثواب والعقاب، فالعبد عندهم هو الفاعل للخير والشر والطاعة والمعصية، وهو المجازي على فعله والله أقدره على ذلك كله.

ويقولون: إن هذا لا يتعارض مع الاعتقاد بأن الله خالق كل شيء ما دام العبد وقدرته مخلوقين لله عز وجل.

٣- ويقابل هذا المذهب الجبرية القائلين: إن الله تعالى كما قدر أعمال العباد في علمه أرادها بمشيئته وأنفذها بقدرته تعالى وحده، واشتهر عندهم أن قدرة العباد وإرادتهم معطلة أو مسلوبة، والعبد مجبور وليس له من الأمر شيء. وقد اتفق جميع المتكلمين على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه وممره، والرضا بالقضاء، ودليل الوجوب سمعي وهو ما مر من نصوص، وكذلك عقلي لأن القضاء والقدر يرجعان لصفات الله التي ثبتت بالدليل العقلي، ولكن كل فريق فسّر الرضا والإيمان بما يتناسب مع مذهبه ورأيه.

فالجبرية يقولون: يجب الإيمان بأن الله سبحانه أراد جميع الأشياء والأفعال، وأخرجها إلى حيز الوجود، وليس لغيره فعل ولا تصرف، وإلا لكان شريكًا له؛ وعلينا أن نرضى بهذه التصرفات من غير تفكير فيها.

وأهل السنة يقولون: يجب الإيمان بأن الله علم وأراد جميع الموجودات وقضى بها، ثم تعلقت قدرته سبحانه بها فأوجدتها على ذلك القدر المحكم، وليس للإنسان فيها إلا الكسب الذي به يثاب وعليه يعاقب.

واعلم أن الإيمان بالقضاء والقدر يستلزم الرضا بهما، وهناك فرق بين القضاء والقدر وبين المقضي والمُقَدَّر، فإذا حكم القاضي على الجاني بالسجن فحكمه هو القضاء، وتنفيذ الحكم بإدخاله السجن هو المقضي، فالقضاء والقدر من الله ويجب الرضا بهما دون المقضي والمقدر ففيهما ما يجب الرضا به، كالإيمان والطاعة، وما لا يجب الإيمان به، كالكفر والمعاصي.

هل يجوز الاحتجاج بالقضاء والقدر؟

لا يجوز الاحتجاج بالقضاء والقدر قبل الوقوع توصلًا إليه، بأن قال شخص قدر الله عليّ الزنا مثلاً، وغرضه بذلك التوصل إلى الوقوع في الزنا، أو بعد الوقوع تخلصاً من جزائه، بأن وقع في الزنا مثلاً وقال قدر الله عليّ ذلك، وغرضه به التخلص من الحد.

وأما الاحتجاج به بعد الوقوع لدفع اللوم فقط فلا بأس به، ففي الحديث: «احتج آدم وموسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة؟! فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، ثم تلومني على أمر قدّر عليّ قبل أن أخلق؟! فقال رسول الله ﷺ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، مرتين»^(١).

ولذلك لم يقبل الله الاحتجاج من الكافرين بمشيئته وقضائه: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢﴾

(١) أخرجه البخاري.

(٢) سورة الأنعام. الآيتان: ١٤٨، ١٤٩.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١﴾﴾، ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢﴾﴾.

ولنا أن نقول: إن الكافر يستطيع أن يؤمن، وإن العاصي يستطيع أن يطيع ويستجيب لأمر الله، قال تعالى: ﴿فَتَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴿٣﴾﴾.

ولو لم يكن مستطيعاً؛ لكان التكليف بما لا يطاق، والله سبحانه يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿٤﴾﴾.

ويجب استلهاهم القضاء والقدر لتخفيف المصائب من الشدائد، وتخفيف البطر والكبر عند الرخاء، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٥﴾﴾.

(١) سورة النحل. الآية: ٣٥.

(٢) سورة الزخرف. الآية: ٢٠.

(٣) سورة التغاين. الآية: ٨.

(٤) سورة البقرة. الآية: ٢٨٦.

(٥) سورة الحديد. الآيتان: ٢٢، ٢٣.

٧- رؤية الله تعالى

قال الناظم رحمته:

ومنه أن يُنظرَ بالأبصارِ * * * لكن بلا كيفٍ ولا انحصارٍ
للمؤمنين إذ بجائزٍ عُلِّقَتْ * * * هذا وللمختارِ دنيا ثبتتْ

المقصود بالرؤية: هو انكشاف المرئي انكشافاً تاماً، والآلة التي تقع بها هي حاسة البصر التي أودعها الله في الكائنات الحية.

الكلام في رؤية العباد ربهم ينتظم ثلاثة أمور:

الأول: هل هي مما يُجوزُهُ العقل؟

الثاني: هل في السمع ما يدل على جوازها؟

الثالث: هل السمع يجوز وقوعها في الدنيا؟ أو هل ما ورد فيه إن دل على الجواز خاص بالآخرة؟

أما عن الأول من هذه الأمور: فقد ذهب المعتزلة إلى أن العقل لا يُجوز رؤية العباد ربهم، بل العقل يحكم بامتناع هذه الرؤية.

وأجمع الأئمة من أهل السنة على أن رؤية العباد ربهم مما يجوزه العقل.

وأما عن الأمر الثاني: فقد استدلت المعتزلة على رأيهم هذا بأدلة عقلية ونقلية.

أما دليلهم العقلي فمفاده:

أن الرؤية تحتاج إلى مسافة وجهة ومقابلة بين الرائي والمرئي ويلزم من ذلك أن يكون المرئي جوهرًا أو عرضًا، وأنه في جهة، وأنه يشغل حيزًا من الفراغ ...

إلخ وهذا كله مستحيل بالنسبة لله الذي ليس كمثله شيء، فاستحال ما أدى إليه وهو جواز الرؤية.

وأدلتهم النقلية هي: يقول الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾^(١) فإدراك البصر إذا كان هو الرؤية فقد نفاه الله عنه؛ لأنه نقص في حقه. وإذا كان لازم الرؤية فنفي اللازم نفي للملزوم، فنفي الإدراك نفي للرؤية كذلك، وقد نفى الله رؤية الأبصار له لأنها نقص، فإثباتها يكون مستحيلًا عليه، ويستدلون كذلك بقول السيدة عائشة رضي الله عنها: «من قال إن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية»^(٢). ولو لم تكن الرؤية مستحيلة بالنسبة إلى الله لما جعلتها فرية عظيمة.

أما الآيات والأحاديث التي يدل ظاهرها على جواز الرؤية فيجب صرفها عن هذا الظاهر وتأويلها بما لا يتعارض مع الدليل العقلي والنقلي، وذلك بتقدير مضاف، وهو الرحمة، أو النعمة في مثل قول الله ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(٣) أي: إلى نعمة أو رحمة ربها، وكذلك ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾^(٤) أي: عن نعمة أو رحمة ربهم.

أما أهل السنة فقد استدلوا على جواز رؤية الله تبارك وتعالى بالعقل والنقل.

ودليلهم العقلي: أن الله موجود، وكل موجود يجوز أن يرى، فالله يجوز أن يرى.

ودليلهم النقلي: أن في السمع كثيرًا من الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة

التي تدل صراحة على جواز رؤية المؤمنين ربهم، منها:

(١) سورة الأنعام . الآية: ١٠٣ .

(٢) أخرجه مسلم .

(٣) سورة القيامة . الآية: ٢٣ .

(٤) سورة المطففين . الآية: ١٥ .

١- يقول سبحانه في حق المؤمنين يوم القيامة: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(١)، وهذا نص في تكريم المؤمنين يوم القيامة بالنظر إلى ربهم، وحمل النظر على الانتظار و(إلى) على أنها اسم مفردة «آلاء» بمعنى النعم والمعنى ينتظرون آلاء ربهم - كما يقول الجبائي - بعيد عن أسلوب القرآن البليغ. وهذه الآية تفسر قول الله تعالى: ﴿عَلَىٰ الْأَرْيَافِ يَنْظُرُونَ﴾^(٢) أي: ينظرون وجه ربهم، كما تفسر قوله سبحانه ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾^(٣) فالزيادة هي الرؤية كما قال ذلك جمهور المفسرين.

وقد أثبتت السنة الرؤية في الآخرة بما لا يقبل الشك، كقوله ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»^(٤) أي: الرؤية ستكون واضحة كرؤية القمر ليلة البدر.

ولا داعي لتأويل هذه النصوص الصريحة، وصرافها عن ظاهرها بتقدير مضاف أو ما شابه ذلك؛ لأن حمل الأسلوب على الحقيقة أولى من حمله على المجاز ما دامت الحقيقة ممكنة.

٢- يقول الله حكاية عن كليمة موسى ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِيْ اَنْظُرْ اِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِيْ وَلَكِنْ اَنْظُرْ اِلَى الْجَبَلِ فَاِنْ اَسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِيْ﴾^(٥).. فقد سأل موسى ﷺ ربه الرؤية، ولو كانت الرؤية مستحيلة لما سأله ﷺ، فإنه رسول يعلم الواجب والجائز والمستحيل في حق الله، وسؤاله المستحيل

(١) سورة القيامة . الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٢) سورة المطففين . الآية: ٢٣.

(٣) سورة يونس . الآية: ٢٦.

(٤) متفق عليه.

(٥) سورة الأعراف . الآية: ١٤٣.

لا يكون إلا عن غفلة أو جهل، وكلاهما مستحيل على الأنبياء، ولا يجوز أن نقول إنما سأله ليبين لقومه أنها مستحيلة - كما يقول المعتزلة - فإنه يكفي أن يخبر قومه باستحالتها، ثم إنه عند السؤال لم يكن معه أحد من قومه ليشهد هذا، فقد كان ﷺ يسأل لنفسه؛ لأنه يريد أن ينال منزلة المشاهدة بعد أن نال منزلة المكاملة، والمشاهدة أعلى منازل الإدراك.

ونستطيع أن نأخذ من الآية دليلاً آخر على جواز الرؤية؛ فإن الله سبحانه علق الرؤية على أمر جائز وهو استقرار الجبل، وكأن الله يقول لموسى ﷺ: إنك لن تقوى على المشاهدة ولن تتحمل هذا التجلي، وسأجري أمامك تجربة على الجبل وهو أقوى منك وأكثر تحملاً، فإن تحمل الرؤية واستقر أمام التجلي الأعظم، كان من الممكن أن تُجاب إلى طلبك، وأن تنال هذه الأمنية، وقد أُجريت التجربة فعلاً، وتجلي الله تعالى للجبل فاهتز ولم يقدر على مشاهدة الجلال والعظمة وأصبح دكاً، وخرَّ موسى ﷺ - من هول ما أصاب الجبل - صعقاً، فما كان يصنع موسى ﷺ لو أن التجلي كان له؟

ولا معنى لقول المعتزلة هنا: إن الرؤية علقت على أمر مستحيل وهو استقرار الجبل حال تحركه، فمن أين لنا هذا القيد وليس هناك ما يدعو ولا ما يشير إليه.

الرد على المعتزلة:

ما تمسك به المعتزلة في قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(١) فهو حجة لنا لا علينا.

لأن الإدراك معناه الإحاطة الشاملة ومعرفة الدقائق، لا مطلق الرؤية، ونحن

(١) سورة الأنعام . الآية: ١٠٣.

لا نقول به، لأن الإدراك بمعنى الإحاطة مستحيل بالنسبة إليه سبحانه، وهو المنفي في الآية.

وأما دليلهم العقلي وهو أن الرؤية تحتاج إلى مسافة وجهة... إلخ، فقد حملهم على ذلك قياسهم الغائب على الشاهد، فهذه كلها شروط عادية أودعها الله في الكائنات، وجعل رؤية الأحياء مشروطة بها.

وكان من الممكن أن يودع في الكائنات شروطاً أخرى، وأن يجعل الرؤية بغير شروط أصلاً، فكل ذلك مقدور له سبحانه.

فرؤية الله إذن لا تخضع لهذه القوانين الطبيعية، من الحيز والمكان والجهة، بل يمكن أن تكون بغير كيف ولا انحصار؛ بأن يخلق الله قوة في الرائي يرى ذاته سبحانه من غير حدود ولا انحصار.

هل الخلاف لفظي أو حقيقي؟

والحق أن رأي المعتزلة هنا ضعيف، وأن أدلتهم منقوضة، ولو نظروا إلى الموضوع من نفس الزاوية التي نظر إليه منها أهل السنة لوافقوهم على الجواز، وذلك بأن لا يُحْكَمُوا القوانين العادية التي تجري في هذه الدنيا، فلا يقيسوا الغائب على الشاهد، وهذا يرجح أن الخلاف لفظي، وقيل إن الخلاف حقيقي؛ لأنه منصب على جواز الرؤية بالإبصار وعدم الجواز.

وأما عن الأمر الثالث فنقول:

لم تثبت وقوع الرؤية في الدنيا لأحد من الأنبياء والمرسلين السابقين على نبينا ﷺ.

أما ثبوتها لنبينا ﷺ أثناء المعراج فقد اختلف فيه الصحابة رضي الله عنهم، فمنهم من أثبتته كابن عباس رضي الله عنهما الذي روى عنه أنه ﷺ رأى ربه بعينه، وفي رواية أخرى أنه رآه بقلبه، والأولى أشهر، ويقول ﷺ: إن الله اختص موسى بالكلام، وإبراهيم

بالخلة، ومحمدًا بالرؤية، وحجّة ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك قول الله: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾^(١)، وإعادة الضمائر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾^(٢). إليه سبحانه، كما يفسر ذلك حديث أنس الذي أخرجه البخاري وفيه يقول: ثم دنا رب العزة فتدلى، حتى كان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إليه فيما أوحى خمسين صلاة.

أما عائشة رضي الله عنها فكانت ترى أنه ﷺ لم ير ربه في الدنيا. وكانت تقول: من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، وكانت تستدل على رأيها بقوله سبحانه: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾^(٣)، وتصرف قوله: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾^(٤) إلى رؤية جبريل عليه السلام.

وقد قال العلماء بشأن ما ذكرته السيدة عائشة رضي الله عنها:

١- إن المعراج حدث والرسول في مكة وعائشة رضي الله عنها كانت صغيرة. وقال معمر بن راشد: «ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس»، ولما سئل أحمد بن حنبل: بأي شيء تدفع قول عائشة رضي الله عنها؟ قال: بقول النبي ﷺ: «رأيت ربي» وقول النبي أكبر من قولها.

٢- السيدة عائشة رضي الله عنها تنفي، وابن عباس يُثبت، والمُثْبِتُ مُقَدَّمٌ عَلَى النَّافِي. وقد صحت الروايات عن ابن عباس بإثباتها.

٣- السيدة عائشة رضي الله عنها لم تنف الرؤية بحديث سمعته من الرسول ﷺ، ولو كان عندها حديث لذكرته.

(١) سورة النجم . الآية: ١١ .

(٢) سورة النجم . الآية: ٨ .

(٣) سورة الأنعام . الآية: ١٠٣ .

(٤) سورة النجم . الآية: ١١ .

٤- اعتمدت ﷺ على قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ ونفي الإدراك لا يدل على نفي الرؤية، فقد تحدث دون إحاطة.

٥- استدلت ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ﴾^(١) لكن يجوز أن تحدث الرؤية من غير كلام.

وقد تابع ابن عباس ﷺ في رأيه كثير من الصحابة، كما تابع عائشة ﷺ آخرون، وتوقف سعيد بن جبير ومن تابعه عن القطع بأحد الرأيين فقال: لا أقول رآه أو لم يره؛ لأنه خشي أن يقطع في أمر غيبي لم يرد فيه نص صريح، وهذا هو الحق كما يقول القاضي عياض: إن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلاً، وليس في العقل ما يحيلها.. وليس في الآيات نص في المنع، وأما وقوعها لنبينا ﷺ، والقول إنه رآه بعينه فليس فيه دليل قاطع ولا نص.

وقوع الرؤية في الآخرة:

أما تحقق الرؤية في الآخرة وثبوتها للمؤمن في الجنة، فقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك، فقد قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُؤْمَرُ تَأْذِرُ^(٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(٣)، وقال: ﴿عَلَىٰ الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ﴾^(٤) وجاءت السنة لتبين القرآن الكريم، فقد أخرج مسلم عن صهيب عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله تبارك وتعالى تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل»، وفي رواية ثم تلا: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾^(٥).

(١) سورة الشورى . الآية: ٥١ .

(٢) سورة القيامة . الآيتان: ٢٢، ٢٣ .

(٣) سورة المطففين . الآية: ٢٣ .

(٤) سورة يونس . الآية: ٢٦ .

وقال ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»^(١)، وهذا صريح في وقوع الرؤية في الجنة.

رؤية الله مناماً:

لم تقع رؤية الله في الدنيا حالة اليقظة إلا لنبينا محمد ﷺ، فمن ادعاها فهو ضال بإجماع العلماء، حتى وصل بعضهم إلى تكفيره.

أما رؤيته تعالى مناماً فهذا لا نزاع فيه، إذ هي انكشاف ومشاهدة بالقلب لا بالعين، وقد وقعت الرؤية بهذه الصورة لكثير من الصالحين، ولكنهم لم يستطيعوا التعبير عما شاهدوه، وإنما وقع في قلوبهم أنهم رأوا الله.

والحاصل: أن رؤية الله تعالى ممكنة عقلاً وواقعة شرعاً، وأن المؤمنين سيرون ربهم يوم القيامة، وأن رؤيته تعالى في الدنيا لم تقع إلا لنبينا محمد ﷺ، وأن رؤيته تعالى مناماً أمر جائز وواقع.

(١) متفق عليه.

المنافسة

س ١: للعباد أفعال خلقها الله تعالى، فهل اكتسبها العبد أو أُجبر عليها؟

س ٢: عرف الوعد والوعيد لغةً وشرعاً، وبين حكمهما.

س ٣: اللهم اغفر لجميع المؤمنين جميع ذنوبهم. هل يصح الدعاء السابق على مذهب الماتريدية والأشاعرة؟، علل لما تقول.

س ٤: قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ علام استدل أهل السنة بالآية السابقة؟

س ٥: ذهب الماتريدية إلى وجوب تحقق الوعيد، ورتبوا على تخلفه عدداً من المفاسد اذكرها، ثم ردّ عليها.

س ٦: إذا كان الله قد قدر كل شيء في الأزل فلماذا العمل؟ هذه شبهة يرددها بعض الكسالى، فكيف ترد عليهم؟

س ٧: أنا مؤمن إن شاء الله. هل يصح الاستثناء في الإيمان على مذهب الأشاعرة؟ ولماذا؟

س ٨: قال الناظم رحمته:

وواجبٌ إيماننا بالقدرِ *

إلام يشير البيت السابق؟ وما معنى القضاء والقدر؟ ومتى يجوز الاحتجاج بالقضاء والقدر؟ ومتى لا يجوز؟

س ٩: قال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ارْنُظُرْ إِلَيَّ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنِ ارْنُظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي﴾. اشتملت الآية على

دليلين لجواز رؤية الله تعالى وضحهما.

س ١٠: تمسك المعتزلة بقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾. في نفي رؤية الله تعالى، وضح فهمهم للآية؟ وأجب عليه.

س ١١: اكتب المصطلح العقدي للمعاني التالية:

(أ) كل خير يتضمن إيصال نفع إلى الغير أو رفع ضرر عنه في المستقبل.

(ب) إرادة الله أزلاً المتعلقة بجميع الأشياء خيراً وشرها على ما هي عليه فيما لا يزال.

(ج) إنجاز قضاء الله وإخراجه إلى حيز الوجود.

(د) انكشاف المرئي انكشافاً تاماً.

س ١٢: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (x) أمام العبارة الختأ فيما يلي:

(أ) استدل المعتزلة على جواز رؤية الله بأن الله موجود وكل موجود يجوز أن يرى. ()

(ب) يرى أهل السنة أن رؤية الله مستحيلة في الدنيا والآخرة. ()

(ج) الإسلام علامة السعادة وليست السعادة نفسها عند الأشاعرة. ()

(د) يرى الماتريدية أنه يجوز أن يخلف الله وعده في حق من يشاء من عباده. ()

(هـ) يرى الأشاعرة أن القضاء هو إرادة الله أزلاً المتعلقة بجميع الأشياء خيراً وشرها. ()

٨- النبوات

قَالَ النَّاطِمُ رحمته الله:

وَمِنْهُ إِرْسَالُ جَمِيعِ الرُّسُلِ * فَلَاحُوجُوبِ بَلِّ بِمَخْضِ الْفَضْلِ
لَكِنْ بَدَأَ إِيمَانُنَا قَدْ وَجَبَا * فَدَعَّ هَوَى قَوْمٍ بِهِمْ قَدْ لَعِبَا
حاجة البشر إلى الرسالة:

اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون من مخلوقاته الإنسان الذي يجمع بين العقل والشهوة، كما اقتضت حكمته أن يُكَلِّفَ الإنسان عبادته، وبعمارة الكون، وأن يَعِدَ الخَيْرَ الصالح بالثواب، ويتوَعَّدَ المسيء الطَّالِحَ بالعقاب، وعَقْلُ الإنسان لا يستطيع وحده أن يدرك الخير من الشر، ولا أن يعرف ما وراء هذا الكون من أمور الغيب، ولا سبيل إلى ذلك إلا بواسطة الرسل الذين يبلغون عن الله، ويبينون الخير من الشر، والحسن من القبيح فيما يتعلق بأمري الدنيا والآخرة؛ حتى تنقطع حجتهم يوم القيامة.

قال سبحانه: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^(١) وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنزَلَ وَنُخَزَى﴾^(٢).

ولا يستطيع الإنسان أن يعيش وحده، ولا أن يصنع كل ما يحتاجه في معاشه، بل لابد أن يجامع بني جنسه، وهذا يحتاج إلى قواعد تضبط المعاملات، وإلا لطغى القوي على الضعيف، ولا يمكن الاحتكام إلى العقل البشري؛ لأن العقول قاصرة وعاجزة، فإن ما يستقبه جماعة قد تستحسنه جماعة أخرى؛ ولذا كانت الحاجة ماسة إلى الأنبياء والمرسلين، ليبيّنوا للناس ما يحتاجونه فيما بينهم.

(١) سورة النساء . الآية: ١٦٥ .

(٢) سورة طه . الآية: ١٣٤ .

الوحي وأنواعه:

أولاً: الوحي لغة واصطلاحاً:

الوحي لغة: الإعلام في خفاء، ويطلق على معان كثيرة، كالإشارة، والكتابة، والرسالة والإلهام، والكلام الخفي، والأمر، والتسخير، والرؤيا الصادقة، والصوت يكون في الناس وغيرهم، كما يطلق على كل ما ألقىته إلى غيرك؛ ليعلمه، وهذا الإعلام قد يكون بالإيحاء، وهو الإشارة ببعض الجوارح أو غيرها، ثم غلب استعمال الوحي فيما يلقي إلى الأنبياء من عند الله تعالى، وقد ورد الوحي في القرآن الكريم في شأن غير الأنبياء مسنداً إما إلى الخالق سبحانه وتعالى، وإما إلى المخلوق، فالأول ورد بمعنى الإلهام الذي يقع في النفس، أو الإلقاء في القلب، كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاذًا خَفَتْ عَلَيْهِ فَكَلَّمِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(١).

وأما الثاني المسند إلى المخلوق فجاء بمعنى الإشارة والإيحاء، كقوله حكاية عن زكريا عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(٢).

المعنى الشرعي للوحي: هو إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه، أو لرسول من رسله بحكم شرعي.

ثانياً: أنواع الوحي:

يبين القرآن الكريم أنواع الوحي الإلهي في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٣) وتدل الآية على أن تكليم الله للبشر يتم بطرق ثلاثة:

(١) سورة القصص . الآية: ٧ .

(٢) سورة مريم . الآية: ١١ .

(٣) سورة الشورى . الآية: ٥١ .

١- **التكليم وحيًا وهو نوعان:** الأول النفث في الرُوع (أي الإلقاء في القلب) ويكون يقظة، والثاني الرؤيا في المنام، ولا تكون رؤيا الأنبياء إلا صادقة.

كما رأى إبراهيم عليه السلام أنه يذبح ولده إسماعيل عليه السلام: قال تعالى: ﴿يَبْنِيْٓ اِيْتِيْ اَرَى فِي الْمَنَارِ اِيْتِيْ اَذْبَحُكَ﴾^(١)، ومن النفث في الرُوع قوله عليه السلام: ﴿اِنَّ رُوْحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوْعِيْ اَنْ نَّفْسًا لَنْ تَمُوْتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رِزْقَهَا وَاَجْلَهَا...﴾^(٢).

٢- التكليم من وراء حجاب من غير رؤية من الموحى إليه؛ وهو أن يكلم الله نبيه مباشرة بلا واسطة مبلّغ فيسمع النبي كلامه كما كلم الله موسى عليه السلام قال سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيْمًا﴾^(٣).

٣- **التكليم بواسطة رسولٍ من الملائكة:** جبريل عليه السلام، أو غيره - كما روي في الصحيحين: «أَنَّ مَلَكًا غَيْرَ جَبْرِئِلَ نَزَلَ بِسُوْرَةِ الْفَاتِحَةِ وَخَوَاتِيمِ سُوْرَةِ الْبَقَرَةِ»^(٤) فيوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن الله ما يشاء، وهذا النوع هو الغالب في الوحي إلى الأنبياء.

الوحي ممكن الوقوع:

الوحي ظاهرة متماثلة عند جميع الأنبياء والمرسلين؛ لأن مصدرها واحد، وهو رب العالمين، وغايتها واحدة، وهي عبادة الله واجتناب الطاغوت، قال تعالى: ﴿اِنَّا اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ كَمَا اَوْحَيْنَا اِلَى نُوحٍ وَالتِّيْنِ مِنْ بَعْدِهِ وَاَوْحَيْنَا اِلَى اِيْرَاهِيْمَ وَاِسْمَاعِيْلَ وَاِسْحٰقَ وَيَعْقُوْبَ وَاَلْسَابِطِ وَعِيسَى وَاَيُّوْبَ وَيُوْسُفَ وَهٰرُونَ وَسُلَيْمٰنَ وَاَتَيْنَا دَاوُدَ رٰبُوْرًا﴾^(٥).

(١) سورة الصافات . الآية: ١٠٢ .

(٢) أخرجه البزار في مسنده وصححه ابن حبان والحاكم .

(٣) سورة النساء . الآية: ١٦٤ .

(٤) أخرجه مسلم .

(٥) سورة النساء . الآية: ١٦٣ .

والوحي بمعناه الشرعي أمرٌ ممكنٌ الوقوع لا استحالة فيه؛ لأن اشتراك الناس في البشرية لا يمنع أن يختص الله واحدًا منهم بما يشاء من العلم والحكمة والإيمان، بأي أسلوب وحيًا كان أو إلهامًا، وليس في هذا ما يثير الدهشة أو يدعو إلى العجب.

لكنّ المشركين - ومن على شاكلتهم في هذا الزمن - يتعجبون من أن إنسانًا يرى الملائكة، عيانًا، ويكلمهم جهارًا، حتى قالوا: كيف يرى محمد ما لا نرى ويسمع ما لا نسمع؟ قال تعالى: ﴿اَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا اَنْ اَوْحَيْنَا اِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ اَنْ اَنْذِرَ النَّاسَ وَبَشِّرَ الَّذِيْنَ ءٰمَنُوْا اَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صٰدِقَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالِ الْكٰفِرُوْنَ اِنْتَ هٰذَا لَسٰحِرٌ مُّبِيْنٌ﴾^(١).

وإن هذا التعجب لو كان سائغًا مثله في الجاهلية الأولى مع أنه لم يكن كذلك؛ لأن الظالمين كانوا بآيات الله يجحدون فما كان ليسوغ اليوم وقد ملئت الأرض بالآيات العلمية التي تدل على إمكان الوحي، ومن أقرب هذه الآيات: شخصان أحدهما في أقصى المشرق والآخر في أقصى المغرب، ثم يتخاطبان ويتراءيان، من حيث لا يرى الجالسون في مجلس التخاطب شيئًا، ولا يسمعون إلا دويًا كدوي النحل، ففيم العجب أن يسمع الإنسان ما لا يرى؟!!

الفرق بين النبي والرسول:

مذهب أهل السنة: أن الرسول إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحاه إليه، فالرسول سفير بين الله وبين الناس، يتلقى الوحي عن الله ثم يبلغه للناس، ويشترط فيه أن يكون إنسانًا حتى يستطيع أن يتفاهم مع الناس، قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾^(٢)، وأن يكون رجلاً كامل العقل

(١) سورة يونس . الآية: ٣ .

(٢) سورة الأنعام . الآية: ٩ .

والخلق، طاهر الأصل، مُنزَّهاً عن العيوب الخلقية والخلقية؛ حتى لا ينفر منه الناس، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (١).

أما النبي عند أهل السنة: فهو من أوحى الله إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، وبذلك يكون النبي غير الرسول.

فالنبي أعمُّ من الرسول، فكلُّ رسولٍ نبيٌّ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولاً، فيشتركان في أن الله نبأٌ كلاهما وأوحى إليهما، ويختصُّ الرسول بأنَّ الله أمره بتبليغ الشرع الموحى إليه.

فالأنبياء يقررون شرعاً من قبلهم، ولا يأتون بشرع جديد، ولا تُنزلُ عليهم كتبٌ خاصةٌ بهم، ولا ينسخون أحكاماً سابقة عليهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾ (٢).

والدليل على أن الأنبياء غير الرسل، قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى﴾ (٣)، فالآية عطفت النبي على الرسول، والعطف يقتضي المغايرة، وقد يجمع إنسان بين النبوة والرسالة كما هو الحال مع نبينا محمد ﷺ.

- ومذهب جمهور المعتزلة: أن النبي هو الرسول، فهو إنسانٌ بعثه الله تعالى لتبليغ أحكام الشرع، والرسول كذلك، فكلُّ نبيٍّ رسولٌ، وكلُّ رسولٍ نبيٌّ، وإنما أطلق عليه رسول؛ لأنَّ الله يقول: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ (٤)، وأطلق عليه نبي؛ لأنه أنبأ الخلق عن الأحكام، والراجح هو مذهب أهل السنة؛ لدلالة الآية السابقة.

(١) سورة آل عمران . الآية: ١٥٩ .

(٢) سورة المائدة . الآية: ٤٤ .

(٣) سورة الحج . الآية: ٥٢ .

(٤) سورة البقرة . الآية: ١١٩ .

حكم إرسال الرسل:

إنَّ المُكَلَّفَ لا يستطيع أن يدرك الخير وحده، وقد أخذ الله سبحانه وتعالى العهد على نفسه ألا يُعذَّبَ حتى يبعث رسولاً فقال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١).

فهل إرسال الرسل حتمٌ لا بد من وقوعه؟ أو هو أمر ممكن يجوز تخلفه؟
اختلف العلماء في ذلك على أربعة آراء:

الرأي الأول: رأي الفلاسفة، وهو أن إرسال الرسل واجبٌ وحتمٌ يصدر عن الله تعالى صدور المعلول عن علته، وقد بنى الفلاسفة قولهم على قاعدتهم في التعليل أو الطبيعة، ومفاد هذه القاعدة: أنهم يقولون بالتلازم العقلي بين العلة والمعلول، والسبب والمسبب، فإذا وجدت العلة وجد معلولها كملزمة حركة الخاتم لحركة الأصبع، وإذا وجد السبب وجد المسبب، والله عندهم علة لوجود العالم، فالعالم نشأ عن الله تعالى عن طريق العلة، ويلزم من وجود العالم وجود من يصلحه وهم الرسل، ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يَقُوْلُوْنَ عُلُوًّا كَبِيْرًا﴾ (٢).

ويدلُّ على فساد مذهب هؤلاء أنه ثبت أنه تعالى فاعلٌ مختار، فلا يجب عليه سبحانه شيء. قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِمَّنِ النَّاسِ﴾ (٥).

(١) سورة الإسراء . الآية: ١٥ .

(٢) سورة الإسراء . الآية: ٤٣ .

(٣) سورة القصص . الآية: ٦٨ .

(٤) سورة الرعد . الآية: ٣٨ .

(٥) سورة الحج . الآية: ٧٥ .

الرأي الثاني: رأي المعتزلة، وهو أن إرسال الرُّسل واجبٌ عليه سبحانه وتعالى، وقد بنوا كلامهم على قاعدة وجوب الصلاح والأصلح عندهم؛ ولذا قالوا: إن النظام المؤدِّي إلى صلاح حال النوع الإنساني على العموم في المعاش وفي المعاد لا يتم إلا ببعثة الرسل، وكل ما هو كذلك فهو واجب على الله تعالى، وقد مرَّ هَدمُ تلك القاعدة التي بنوا عليها كلامهم، كما مرَّ أيضًا أن القول بالوجوب على الله لا يصدر من عاقل فضلًا عن مؤمن، ولعلَّ مقصودهم أن أفعال الله لحكمة، والوجوب إنما هو لأجل تلك الحكمة، إذ تركه عبث يتنزه الله عنه.

الرأي الثالث: رأي البراهمة والسُّمّنية، وهو استحالة إرسال الرسل، فهؤلاء زعموا أن إرسال الرسل عبثٌ، لا يليق بالحكيم؛ لأنَّ العقل يغني عن الرسل، فإنَّ الشيء إذا كان حسنًا عند العقل فعَلَهُ وإن لم تأت به الرسل.

وإن كان قبيحًا عنده تركَهُ وإن لم تأت به الرسل، وإن لم يكن عنده حسنًا ولا قبيحًا فإنه إن احتاج إليه فعَلَهُ وإلا تركَهُ.

فأنت ترى أن كلاً من الفريقين يمجِّدُ العقل ويعتمد عليه، ويرى أن فيه كفايةً لإنارة الطريق، ومن ثمَّ فلا حاجة للرسول، وزاد السُّمّنية: أنَّ طريق الإدراك هو الحواس، والرسول لا يستطيع أن يدرك من أرسله، هل هو الله أو جن أو شيطان؟ فيلتبس عليه الأمر؛ لأنه لا يدرك شيئًا من ذلك بطريق الحس، فيكون إرسال الرسل مستحيلًا.

وقول هاتين الفرقتين - البراهمة والسُّمّنية - باطلٌ؛ لأنَّ العقل لا يستطيع أن يستقل بمعرفة الخير والشرِّ، ولا يُجمَعُ الناسُ على رأي واحدٍ، فإلى أيِّ العقول تحتكم؟ والفرد الواحد يتبدَّلُ رأيه بتبدل الظروف ومرور الأيام، فيرى الشيء خيرًا وقد كان قبل يظنه شرًّا، والعكس.

وقول السُّمّنية: إنَّ الأمر يمكن أن يلتبس على الرسول فلا يدري من أرسله، يجاب عنه بأنَّ الله تعالى يخلق فيمن أرسله علمًا ضروريًا بأنه مُرسلٌ من قبل الله، ثم يؤيدُه بالمعجزة التي يتحدَّى الناس أن يأتوا بمثلها فلا يستطيعون، فيظهر صدق رسالته؛ بل ينضم من القرائن له ولكل عاقل ينظر في شخص الرسول ورسالته ما يدفعه إلى تصديقه.

المذهب الرابع: مذهب أهل السنة:

جاء مذهب أهل السنة وسطًا بين القولين المتنافرين: القول بالوجوب، والقول بالاستحالة، فقالوا: إرسال الرُّسل من الأمور الممكنة لله الداخلة في قدرته وإرادته: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(١).

فإرسال الرسل جائز في حقِّه تعالى عقلاً واقع فعلاً: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾^(٢)، ولا يكون التكليف إلا بعد إرسال الرسل قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٣).

حكم الإيمان بالرسول والأنبياء:

الإيمان بالرسول والأنبياء واجبٌ على كُلِّ مُكَلَّفٍ؛ لقوله تعالى: ﴿ءَا مَنَ الرُّسُلُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَا مَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾^(٤) ولأنه جزءٌ من الإيمان العام الذي بيَّنه الرسول ﷺ حين سأله جبريل ﷺ عن الإيمان فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله» الحديث.

(١) سورة الأنعام . الآية: ١٢٤ .

(٢) سورة الحج . الآية: ٧٥ .

(٣) سورة الإسراء . الآية: ١٥ .

(٤) سورة البقرة . الآية: ٢٨٥ .

وعدم الإيمان ببعض الرُّسل تكذيباً للقرآن، يُخْرِجُ صاحبه عن الإيمان؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾.

كيفية الإيمان بالرسول والأنبياء:

الإيمانُ بالرُّسل يكون إجمالاً وتفصيلاً، والإيمان الإجمالي: أن يعتقد المكلَّفُ أن الله أرسل رسلاً مبشرين ومنذرين، وأنزل عليهم كتباً وصحفاً، وأيدَّهم بالمعجزات الدَّالة على صدقهم.

والإيمان التفصيلي: أن يؤمن برسالة من ورد اسمه في القرآن الكريم، وهم خمسة وعشرون رسولاً، جمعهم بعض العلماء في قوله:

في تلك حُجَّتْنَا مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ * * * مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ وَيَبْقَى سَبْعَةٌ وَهُمْ

إِدْرِيسُ هُودٌ شُعَيْبٌ صَالِحٌ وَكَذَا * * * ذُو الْكِفْلِ آدَمُ بِالْمُخْتَارِ قَدْ خُتِمُوا

ومراده بتلك حجتنا: قول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلَىٰ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

(١) سورة النساء . الآيات: ١٥٠، ١٥١.

(٢) سورة الأنعام . الآيات: ٨٣، ٨٦.

والرسول غير هؤلاء كثير، بدليل قوله تعالى: ﴿مِّنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾^(١)، وليس هناك خبر قاطع بعددهم على وجه التفصيل. وقول الناظم: «فلا وجوب» أي: من الجائز عليه تعالى إرسال الرسل، فليس هناك وجوبٌ عليه سبحانه، بل هو تفضُّلٌ ورحمةٌ، وواجبٌ علينا أن نؤمن برسالتهم جميعاً تصديقاً للقرآن الكريم، وأن ندع آراء القوم الذين قالوا بالوجوب وبالاستحالة؛ فقد ضلُّوا الطريق، ولعبت بهم أهواؤهم.

* * *

(١) سورة غافر . الآية: ٧٨.

النبوة منحة من الله لا تقال بالكسب والاجتهاد

قَالَ النَّاطِمُ رحمته الله:

وَلَمْ تَكُنْ نُبُوَّةً مُكْتَسَبَةً * * * وَلَوْ رَقَى فِي الْخَيْرِ أَعْلَى عَقْبَةٍ
بَلْ ذَاكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ لِمَنْ * * * يَشَاءُ جَلَّ اللَّهُ وَاهِبُ الْمِنَّةِ

ذهب أهل السنة إلى أن النبوة هبة من الله وفضل، لا يصل إليها العبد مهما فعل بنفسه من تهذيب ومجاهدة، كأن يلزم الخلوة والعبادة، وتناول الحلال، بل هي اصطفاء من الله يختص بها من شاء، ولذا يفسرونها بأنها: اختصاص العبد بسماع وحي من الله تعالى بحكم تكليفيٍّ سواء أمر بتبليغه أم لا فالنبوة فضل الله يؤتيه من يشاء: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾^(٢).

مذهب الفلاسفة:

ذهب الفلاسفة إلى أن النبوة تُكْتَسَبُ للعبد بمباشرة أسباب مخصوصة؛ ولذلك يعرفونها بأنها: صفاء وتجلٍ للنفس يحدث لها من الرياضات بالتخلي عن الأمور الذميمة والتخلق بالأخلاق الحميدة، فالأنبياء - عند الفلاسفة - ما هم إلا زعماء يحسون بإحساسات الشعب، فتميل نفوسهم الطبيعية إلى إصلاحه، فيحاولون تربية نفوسهم بالرياضة والعبادة والخلوة، والتخلي عما يشين، والتخلي بكل خلق كريم، حتى تصفو النفس وتتطهر من أدران المادة، وتسمو إلى عالم الروح، ومتى وصل الشخص إلى هذه الدرجة كان نبياً أُمَّتِهِ، وتولى زعامتها وقيادتها إلى ما

(١) سورة الأنعام . الآية: ١٢٤ .

(٢) سورة الحج . الآية: ٧٥ .

فيه خيرها؛ فالرسل في رأي الفلاسفة ليسوا أكثر من زعماء مصلحين تأثروا بالبيئة والرياضات حتى وصلوا إلى الصفاء الروحي، فأصبحوا بهذا قادرين على إحداث بعض الغرائب، والتسلط على بعض قوانين الطبيعة، والتحدث عن المستقبل، ولا مانع عندهم من أن يأتي الرسل في أي وقت ما دام المجتمع في حاجة إلى إصلاح، فليس هناك ختم للنبوة، ولا نهاية للرسالة، وليس هناك تلقٍ لوحي، ولا استماع لملك.

ويلزم على قول الفلاسفة جواز وجود نبي بعد سيدنا محمد رحمته الله، أو معه وهذا تكذيب صريح للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فقد قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(١)، وقال النبي رحمته الله في الحديث الصحيح: «وأنا الخاتم فلا نبي بعدي»^(٢) وقد قام إجماع الأمة على بقاء هذين النصين على ظاهرهما.

أنواع الولاية:

الولاية درجة في القرب من الله تعالى، أقل من درجة النبوة، منها: ما هي **مكتسبة**، تتحقق بامتنال المأمورات واجتناب المنهيات، وهذه هي الولاية العامة. ومنها ما هو **غير مكتسب**، وهو العطايا الربانية، فقد يفيض الله على بعض عباده علماً لم يُجهد نفسه في تحصيله، كما قال في حق الخضر رحمته الله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾^(٣)، وقد يُطَّلِعُ الله بعض عباده على أمور لم يتخذ العبد أسباب الاطلاع عليها، وهذه هي الولاية الخاصة الممنوحة من الله ذي الفضل العظيم.

(١) سورة الأحزاب . الآية: ٤٠ .

(٢) متفق عليه .

(٣) سورة الكهف . الآية: ٦٥ .

المناقشة

س ١: عرف الوحي لغةً وشرعًا.

س ٢: للوحي أنواع كثيرة، وضحها.

س ٣: أنكر الجاهلون وقوع الوحي، فكيف تثبت أن الوحي ممكن؟

س ٤: هل يجب على الله عز وجل أن يرسل الرسل للناس؟ دعم إجابتك بذكر الآراء المختلفة، ومناقشتها.

س ٥: قال بعض العلماء:

في تلك حجتنا منهم ثمانية * من بعد عشر ويبقى سبعة وهم

من المشار إليهم بالعدد في البيت السابق، وما معنى الإيمان الإجمالي والتفصيلي

٣٣.

س ٦: اختر الإجابة الصحيحة بوضع خط تحتها:

(أ) الإيمان بالرسول يكون (إجمالاً فقط - تفصيلاً فقط - تفصيلاً وإجمالاً).

(ب) ذهب أهل السنة إلى أن إرسال الرسول (واجب - مستحيل - جائز).

(ج) يرى الفلاسفة أن إرسال الرسول (واجب - جائز - لا شيء مما سبق).

(د) تنال النبوة

(بالعبادة والطاعة - هبة من الله تعالى - بالجهاد في سبيل الله).

٩- ما يجب وما يستحيل للرسول

قَالَ النَّاطِمُ رحمته الله:

وواجبٌ في حقهم الأمانة * * * وصدقهم وصفٌ له الفطنة

ومثلٌ ذابليغهم لما اتوا * * * ويستحيلٌ ضدُّها كما رَووا

الرسولُ بشرٌ اختارهم الله سبحانه لتبليغ الرسالة إلى الناس حتى لا تكون لهم حجة يوم القيامة، والاختيار مبنيٌّ على التفضيل في الخلق، والخلق؛ فليس من الحكمة أن يختار الخالق من يكون فيه عيبٌ يحول بينه وبين أداء المهمة التي اختير لها، وإلا كان غير حكيم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

والعقلُ يميزُ على الأنبياء والرسل ما يُجيزُهُ على سائر البشر، لكنَّ الشرع يوجب لهم صفات خاصةً تمكنهم من أداء مهمتهم، فقد اصطفاهم واختارهم من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ومنحهم أفضل ما منح البشر؛ ولذا وجب لهم كل كمال بشري.

ونزّه عنهم كل نقص بشري يُعيق رسالاتهم، وأوجب لهم تفصيلاً أربع صفات، هي جامعة الخير كله: الأمانة، والصدق، والفطنة، والتبليغ.

الأمانة (العصمة):

العصمة لغةً: المنع والحفظ.

واصطلاحاً: حفظُ الله ظواهر الأنبياء وبواطنهم من التلبس بمنهية عنه، ولو نهي كراهة، أو خلاف الأولى، فقد بعثهم الله لتبليغ الدعوة وهداية الناس،



وجعلهم قدوةً عمليةً وأسوةً واضحةً: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(١)، والناس مطالبون بطاعتهم والاستجابة لهم: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٢)، فكلُّ لفظ يقولونه، أو فعل يفعلونه تشريع واجب الاتباع، ولو فعلوا المنهي عنه لكننا مأمورين باتباعهم، إلا أن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء والمنكر: يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

ولذلك حفظ الله ظواهرهم من كل ما يُدنِّسُ، فهم محفوظون من الكذب، والزَّنا، والخيانة، وشُرْبِ الخمر، وإيذاء الناس، والسجود لغير الله، كما حفظ قلوبهم وبواطنهم من المعاصي التي لا يطلع عليها غيره كالخسد، والكبر، والرياء، وغير ذلك من منهيات الباطن.

فهم لا يفعلون المحرَّم ولا المكروه، ولا خلاف الأولى، وإذا وقع منهم شيءٌ من ذلك فهو للتشريع فيصير واجباً أو مندوباً في حقهم، فأفعالهم ﷺ دائرةٌ بين الوجوب والندب، وليس ذلك عجباً، فهذه المنزلة قد يدركها بعض أتباعهم فيفعلون المباح بنية العبادة، فتكون مندوبة لهم وعليها أجر كما في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرتَ عليها حتى ما تجعل في في امرأتك»^(٤) (أي ما تنفقه من الطعام في فمها مع التلطف وحسن العشرة الذي يصل إلى المداعبة) لك فيه أجرٌ إذا قصدت وجه الله.

(١) سورة الأحزاب . الآية: ٢١ .
(٢) سورة الحشر . الآية: ٧ .
(٣) سورة الأعراف . الآية: ٢٨ .
(٤) متفق عليه .

وحفظ الله الأنبياء في الظاهر والباطن ليس قاصراً على زمن النبوة، وإنما يمتد إلى أول عهدهم بالحياة، فهم يُنشئون بين أقوامهم ممتازين بالأخلاق الكريمة، حتى لا يطعنَ فيهم طاعنٌ إن هم دعوا الناس إلى الخير، ولذلك أجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الكفر منذ ولادتهم، ومن كل ما يستهجنه العقل، ويوجب نفرة الناس، كالكذب والزنى والسرقة.

فالأنبياء والرسل محفوظون بحفظ الله لهم من الذنوب والآثام؛ إذ كيف يستطيعون دعوة الناس إلى الخير، ونهيهم عن الإثم والشر، وأيديهم ملطخة بالإثم، وقلوبهم مشحونة بالشر؟.

وقد استنكر القرآن الكريم من الدعاة أن يأمرُوا الناس بما لا يفعلون، قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(١)، ثم إنه سبحانه يؤيد رسله بالمعجزات، فكيف يصطفاهم وهم له عاصون، ولأنفسهم ظالمون؟، وهو سبحانه القائل ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

وقد بيَّن سبحانه أنه لا يتساهل في الحق قال تعالى: ﴿نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقْوَابِ^(٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ^(٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ^(٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ^(٧) وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَنِّنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾^(٨) إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا^(٩).

(١) سورة البقرة . الآية: ٤٤ .
(٢) سورة البقرة . الآية: ١٢٤ .
(٣) سورة الحاقة . الآيات: ٤٣ - ٤٧ .
(٤) سورة الإسراء . الآيتان: ٧٤، ٧٥ .

النصوص التي توهم عدم العصمة:

وردت في الشرع نصوصٌ توهم وقوع بعض الأنبياء في الذنب والمعصية، وهذه النصوص تتنافى مع وجوب عصمة الأنبياء والمرسلين، فإن كانت خبر آحاد وجب ردُّها؛ لمعارضتها النصوص الصريحة في ثبوت عصمة الأنبياء والمرسلين، وإن كانت متواترة - قرآناً أو سنة - فإنها تؤول بأن تحمل على غير ظاهرها فنصرفها على أنها من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، فالمقربون أعلى درجة من الأبرار، فقد يفعل الأبرار أمراً هو حسنة في حقهم، لو فعله المقربون لكان في حقهم سيئة، وذلك لعلو مقامهم، والمؤاخذة إنما هي بقدر القرب والمكانة، فما يُباح لعامة الناس قد يُمنعُ منه خواصهم، فقد يكون الفعل مباحاً في حق غيرهم ويعدُّ في حقهم ذنباً يلامون عليه، وما ذلك إلا لعلو المنزلة والمكانة، فكذلك الحال في الأنبياء والمرسلين، ولا يجوز النطق بالنصوص الموهمة في حق الأنبياء في غير موردتها إلا في مقام البيان والتعليم.

ما ورد في حق آدم ﷺ:

نهى الله آدم ﷺ عن الأكل من الشجرة، فوسوس له الشيطان وأغراه فوق في المعصية، واعترف بالذنب فقال - كما حكاه القرآن الكريم -: ﴿قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّو تَفَرَّرْنَا لَنُؤْتِيَنَّكَ أَلْمِينَ﴾ (١)، وسمى الله فعل آدم معصيةً وغوايةً في قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (٢).

(١) سورة الأعراف . الآية: ٢٣.
(٢) سورة طه . الآية: ١٢١.

والجواب: أن الوقوع في الخطأ من آدم ﷺ لم يكن عن قصد، وإنما هو نسيان بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ (١) والتكليف إنما هو في حدود الطاقة، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَنَهَا سَيِّئًا لِّمَّا كَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تَأْخُذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلُ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٢)، وإنما سُمِّي ما فعله آدم معصيةً لدرجة آدم وقربه من ربه، ولو كان هذا الأمر مع غيره لم تكن فيه مؤاخذة ولا عتاب، ولأهل السنة ردُّ آخر، وهو أن هذا الحادث وقع قبل النبوة وليس مما يشين، فلا تجب العصمة منه.

ما ورد في حق إبراهيم ﷺ:

ورد في حق إبراهيم ﷺ عدة نصوص:

١- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُؤْوِينُ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لِّيُطْمِئِنَنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٤). وهذا يدل على الشك وعدم اليقين.

(١) سورة طه . الآية: ١١٥.
(٢) سورة الطلاق . الآية: ٧.
(٣) سورة البقرة . الآية: ٢٨٦.
(٤) سورة البقرة . الآية: ٢٦٠.

والجواب: أن إبراهيم عليه السلام عندما قال: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ لم يكن شاكًا، وإنما كان عنده يقين الخبر وإيمانه، فأراد أن ينضمَّ إلى هذا اليقين، يقين المشاهدة والعيان؛ ليرتقي في اليقين ولذلك قال: - كما حكاه القرآن الكريم - ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾.

٢- قوله - كما حكاه القرآن الكريم - عندما رأى كوكبًا: ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾^(١)، وعندما رأى القمر بازغًا: ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾^(٢)، وعندما رأى الشمس بازغًا قال: ﴿هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُورُ إِنِّي بَرِيءٌ وَمِمَّا تُشْرِكُونَ﴾^(٣) فهذه عبادة لغير الله، واعتراف بالوهية غيره.

والجواب: أن قوله للكوكب والقمر والشمس: مجارة للخصم في رأيه، حتى يُظنَّ أنه تحول عن دعوته إلى عبادة النجوم والكواكب، حتى إذا التفت إلى إبراهيم واستمع إليه أتى إبراهيم على هذا الرأي بالإبطال والتسفيه، ولذلك قال: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾^(٤) وقال: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُورُ إِنِّي بَرِيءٌ وَمِمَّا تُشْرِكُونَ﴾^(٥)، ثم بين لهم أن المستحق للعبادة هو خالق هذه الأجرام ومصرفها: ﴿إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِي لِلذِّى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٦) وهذا الأسلوب من أبلغ الأساليب لإلزام الخصوم وإفحامهم.

- (١) سورة الأنعام . الآية: ٧٦.
- (٢) سورة الأنعام . الآية: ٧٧.
- (٣) سورة الأنعام . الآية: ٧٨.
- (٤) سورة الأنعام . الآية: ٧٦.
- (٥) سورة الأنعام . الآية: ٧٨.
- (٦) سورة الأنعام . الآية: ٧٩.

٣- عندما خرج قومه في عيدهم، وأراد أن يمتنع عن الخروج بحث عن عذر يعتذر به فقال - كما حكاه القرآن الكريم - ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾^(١) فنولوا عنه مذبذبين^(٢) وعندما كسرت الأصنام، وسأله قومه - كما حكاه القرآن الكريم - ﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا يَا لَهْتَينَا يَا بُرْهَيْمُ﴾^(٣) قال بل فعله، كبيرهم هذا فشتلوههم إن كانوا ينطقون^(٤)، وفي هذا ما يوهم الكذب في الموضعين.

والجواب: أنه قال: إني سقيم، أي حزين القلب على عدم إيمان قومه، إلا أنهم فهموا أنه مريض، ولا عيب في قوله؛ لأنه صادق فيه، أما قوله - كما حكاه القرآن الكريم - ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ فإنما قال ذلك بقصد أن يستدرجهم ليعترفوا بضلالهم ويقلعوا عنه، ولذلك قال - كما حكاه القرآن الكريم - ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْتَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾^(٣) ولما اعترفوا بأنهم لا ينطقون أعلن الحق الذي ألزمهم به ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾^(٦) أف لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ^(٤).

ما ورد في حق موسى عليه السلام:

قول الله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَى الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾^(٥)، فظاهر الحديث يوهم أن موسى قتل شخصًا بغير حق، وهذه كبيرة ما كان يصحُّ أن تقع من نبي.

- (١) سورة الصافات . الآيتان: ٨٩، ٩٠.
- (٢) سورة الأنبياء . الآيتان: ٦٢، ٦٣.
- (٣) سورة الأنبياء . الآية: ٦٣.
- (٤) سورة الأنبياء . الآيتان: ٦٦، ٦٧.
- (٥) سورة القصص . الآية: ١٥.

والجواب: أن بني إسرائيل كانوا مُسْتَدَلِّينَ في مصر، مهضومي الحق، وكانوا يتعاونون على رد الظلم عنهم، وقد مرَّ موسى ﷺ برجلين يقتتلان أحدهما من شيعته من بني إسرائيل والآخر من عَدُوِّهِ من أتباع فرعون، فحاول موسى ﷺ أن يَرُدَّ المعتدي، وأن ينتصر للضعيف المظلوم، فوكز الظالم أي دفعه عن صاحبه، ولكنَّ المعتدي لم يتحمل هذه الدفعة اليسيرة فوق مَيْتًا، فلم يكن هناك اعتداء من موسى ﷺ، وإنما هو رد اعتداء على مظلوم، ولم يقصد موسى ﷺ قتله ولا إيذائه وإنما قصد دفعه فحسب، فلم يرتكب شيئاً يستحق اللوم والمؤاخذه، واعترافه أمام ربه بظلمه فقه وطلب المغفرة من قبيل حسنات الأبرار سيئات المقربين.

ويجاب أيضًا: بأنَّ القتل وقع من موسى ﷺ خطأ، والدليل على كونه خطأ: أنه لو قصد القتل لضرب الرجل بشيء يَقتُل عادةً، ولكنه ضربه بيده، والضرب باليد لا يقتل في الغالب.

ما ورد في حق يوسف ﷺ:

يقول الله تعالى مصورًا ما كان بين يوسف ﷺ وبين امرأة العزيز حينما دعته إلى نفسها: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِوَيْهَمَ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾^(١) فهذا يوهم أن نفس يوسف ﷺ مالت إلى الوقوع في الجريمة، وهذا لا يليق بالأنبياء.

والجواب: أن امرأة العزيز عندما تعلقت بيوسف راودته عن نفسه، بعد أن أعدت العدة لإغوائه، فغلقت الأبواب، وقالت: هَيْتَ لَكَ، ولكنه ﷺ وهو المعصوم ردَّها ردَّ المؤمن القوي، فقال - كما حكاها القرآن الكريم - ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي﴾

(١) سورة يوسف . الآية: ٢٤.

- أي: إن زَوْجَكَ سَيِّدِي - ﴿أَحْسَنَ مَثْوَىٰ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾. ولكنها لم ترضَ بهذا الأسلوب الوعظي الخاضع للعقل والحكمة، بل أرادت أن تشيع غريزتها، وأن تحقق رغبتها، فهو عبدها، فكيف يقف منها موقف العناد والامتناع؟ فَهَمَّتْ به تُرغِمه على ما تريد، وَهَمَّ بها يدفعها عن نفسه، وكادت تقوم بينهما معركة لولا أن أنقذه الله من هذا المأزق بأن رأى دلائل حضور ربه وسيده فأسرع إلى الباب يريد أن يعتصم به، وهي من خلفه تسابقه وتجذبه من ثيابه حتى مزقتها، وإذ برحمة الله تدرك يوسف ﷺ، فيجد السيد لدى الباب، فتسرع المرأة إلى إلقاء الاتهام؛ ولها من ضعفها وأنوثتها ومكرها ما يُبرِّر ذلك الاتهام فتقول - كما حكاها القرآن الكريم - ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١) ولكنَّ السيد وهو الحاكم الأريب يستمع إلى دفاع يوسف ﷺ فيعرف جرم زوجته، وبرائة يوسف ﷺ فيعلنها صريحة - كما حكاها القرآن الكريم - ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾^(٢) يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكَ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾^(٣).

فنفس يوسف ﷺ لم تحدته بالخطيئة، ولم يجد من نفسه مَيْلًا إليها، وإنما هو اختبار من الله ليوسف ﷺ خرج منه طاهر الذليل، طيب النفس، شريف القصد. ومع ذلك فقد أخذت امرأة العزيز تكيد له، فجمعت النسوة، وأعلنت عليهن ما كانت تخفيه، واعترفت في جُرأة أنها طلبت منه، وهددته أمامهن وقالت - كما حكاها القرآن الكريم - ﴿وَلَقَدْ زودناه عن نفسه فاستعصم ولين لم يفعل ماء امرأة، لئسجننَّ وليكوننَّ من الصغيرين﴾^(٣)، وفي قوله: ﴿فَاسْتَعصم﴾ دليل على قوة الخلق وسلامة الإرادة، فكيف يُتصوَّرُ بعد هذا أن يوسف ﷺ همَّ بها يريد لها لنفسه؟ حاشاه ﷺ.

(١) سورة يوسف . الآية: ٢٥.

(٢) سورة يوسف . الآيتان: ٢٨، ٢٩.

(٣) سورة يوسف . الآية: ٣٢.

هذا، والآية التي ما توهم أن يوسف عليه السلام مال إليها بقلبه ختامها يثبت البراءة ليوسف عليه السلام، ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصَّرَفَ عَنْهُ الشُّؤْمُ وَالْفَحْشَاءُ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾^(١) وقد اعترفت امرأة العزيز ومن معها من النساء ببراءة يوسف عليه السلام، وتكفي شهادتهن في البراءة؛ لأنهن أصحاب الدعوى ﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَوَدْتَنِّي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُ حَسْبُ لِي مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(٢).

ما ورد في حق داود عليه السلام:

في قصة داود عليه السلام يقول الله تعالى: ﴿وَطَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾^(٣)، فهذا يوهم أن داود عليه السلام ارتكب معصية استغفر ربه منها.

والجواب: أن الفتنة التي استغفر داود ربه منها: أنه لما تسور عليه الخصمان المحراب، وقال أحدهما - كما حكاها القرآن الكريم - ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾^(٤)، قال داود - كما حكاها القرآن الكريم - ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾^(٥)؛ فداود عليه السلام أسرع بالحكم بدون أن يستمع إلى رأي الخصم الثاني، أو أن يطلب الإثبات من الخصم الأول؛ ولذا استغفر ربه وخر راکعاً، وقيل: إنما استغفر داود عليه السلام؛ لأنه كان قد خصَّ يوماً للعبادة، مع أن النظر في شئون الرعية و القضاء بينهم عبادة، فقد تكون هناك أمور لا تحتل تأخيراً للفصل فيها، فنبهه سبحانه وتعالى بهذا المثل الواقعي (قصة أصحاب النعاج).

وأياً ما كان فليست هناك معصية ولا ذنب، وأما شعوره عليه السلام واستغفاره فما هو إلا من قبيل «حسنات الأبرار سيئات المقربين».

- (١) سورة يوسف . الآية: ٢٤ .
- (٢) سورة يوسف . الآية: ٥١ .
- (٣) سورة ص . الآية: ٢٤ .
- (٤) سورة ص . الآية: ٢٣ .
- (٥) سورة ص . الآية: ٢٤ .

ما ورد في حق نبيينا محمد عليه السلام:

وردت آيات في حق نبيينا محمد عليه السلام فيها عتابُ الله له عليه السلام؛ وذلك في مواضع مختلفة من القرآن الكريم، والعتابُ يوهم أن النبي عليه السلام ارتكب شيئاً يستحق عليه العتاب، فكيف يُقبلُ هذا مع القول بعصمة الأنبياء؟

والجواب: أن النبي عليه السلام لم يترك في هذه المواضع شيئاً أمراً بفعله، ولم يفعل فيها شيئاً أمراً بتركه، ولكن كان هناك بعض القضايا التي أتىح للنبي عليه السلام أن يجتهد فيها برأيه، حيث لا أمر ولا نهي فيها من الله تعالى، فكان يجتهد رسول الله عليه السلام، ولا يحكم فيها بترك واجب، أو بفعل محرم، ولكنه قد يحكم بالحسن ويترك بالأحسن، أو بالصالح ويترك بالأصلح، فكان رسول الله عليه السلام يعاتب على ذلك لأن الأولى بالحضرة النبوية ومقامها ألا تحكم إلا بأحسن الأحكام فكان العتاب لترك الأولى، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها:

١- عاتبه الله تعالى في إذنه للمنافقين في غزوة تبوك بالتخلف عن الجهاد، وكان عليه ألا يأذن لهم حتى يتبين له الذين صدقوا في أعدارهم ممن كذبوا، قال تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ﴾^(١).

والجواب: أن إذنه عليه السلام لبعض الناس بالتخلف قد نشأ عن اجتهاد، لم يخالف فيه أمراً نازلاً من السماء، والمجتهد مأجور أخطأ أم أصاب، والعتاب إنما هو مخاطبة المحبِّ لحبيبه، فهو منزلة رقيقة ينالها عليه السلام من ربه.

وما أجمل هذا العتاب المبدوء بالعتف عليه السلام ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾.

(١) سورة التوبة . الآية: ٤٣ .

٢- عتابُ الله له في أسرى بدر في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُنْجَحَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦٧) لَوْلَا كُنْتُ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾.

والجواب: أنَّ الرسول ﷺ اجتهد برأيه، واستشار أصحابه، وكان رأيهم في أسرى بدر دائراً بين أخذ الفداء والعفو عنهم، وبين قتلهم، فاختر رسول الله ﷺ أيسرهما وهو العفو مقابل الفدية، فعوتب في ذلك؛ لأنَّ الأولى في هذا المقام قتل هؤلاء؛ لأنهم بصدد تكوين دولة، وإصلاح أوضاعها والشدة على الأعداء ترهب غيرهم، فالعتاب هنا لخلاف الأولى، وما يدل على أنه ﷺ لم يخطئ في الأخذ برأي أبي بكر ؓ في فداء الأسرى أن الله تعالى لم يأمره بقتلهم بل رتب على أسرهم توجيهات لهم جاءت في الآية التالية: ﴿ يَأْتِيهَا النَّجَى قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢).

٣- عوتب النبي ﷺ في شأن عبد الله بن أم مكتوم ؓ لما جاءه يسأل عن أمور دينه قال تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى ﴿٣﴾ أَوْ يَقُولُ فَنَنْفَعُهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾. فإعراض النبي ﷺ عن السائل، والتفاته إلى غيره، يصرف الناس عنه، ويغضهم فيه.

والجواب: أنَّ النبي ﷺ أعرض عن ابن أم مكتوم، وعبس في وجهه؛ لأنه كان بصدد دعوة سادة قريش إلى الإسلام، وكان يرغب أن تلين قلوبهم فيهددي

(١) سورة الأنفال. الآيتان: ٦٧، ٦٨.

(٢) سورة الأنفال. الآية: ٧٠.

(٣) سورة عبس. الآيات: ٤-١.

بهم أتباعهم فيكون إسلامهم نصراً للدعوة، أما عبد الله بن أم مكتوم فله إيمان حصين يحميه من الزيف، فلينتظر حتى ينتهي الرسول ﷺ من دعوة هؤلاء، ولكن الله تعالى أراد أن يشعر رسوله ﷺ بأنَّ هذا الأعمى الضعيف الذي جاء سعيًا ليحصل الخير أفضل من هؤلاء السادة المعرضين؛ ولذلك كان أولى بالاهتمام والرعاية، وفي ذلك تحقير لشأن أولئك المعرضين، ورفع لشأن المقبلين على الله، فليست هناك معصية، وإنما هو عتاب الحبيب للحبيب، وتنويه بشأن المقبلين على الهداية ولو كانوا ضعفاء، وتهوين بشأن المعرضين ولو كانوا من الوجهاء.

٤- عوتب النبي ﷺ في إخفاء ما أعلمه الله من زواجه بزینب بعد أن طلقها زيد، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ (١)، فهذه الآية توهم أنَّ النبي ﷺ ارتكب ما يستحق عليه اللوم، وما يتنافى مع العصمة.

والجواب: أنَّ هذه القضية ليس فيها ما يمسُّ الرسول ﷺ بشيء، فقد أراد الله سبحانه أن يطبق المبادئ تطبيقاً عملياً، فأراد أن يقضي أولاً على عصبية النسب، فزوج زينب القرشية الحسيبة من زيد المولى، فلما قضى زيد منها وطراً أراد الله أن يحقق الأمر الآخر، وهو القضاء على عادة التبني، فأخذت زينب تسيء معاملة زيد، وزيد لا يحتمل ويشكو إلى الرسول ﷺ، فيقول له: اتق الله واصبر، وكان ﷺ يعلم بطريق الوحي أنها ستطلق من زيد ليتزوجها، ولما كان الأمر خاصاً به، خشي أن يقول الناس عنه ما يمس شرفه، بأن يقال طلقها لينفرد بها للزواج منها، ولذلك أخذ ينصح زيداً بإمساکها حتى نفذ صبره فطلقها، وهنا كان العتاب

(١) سورة الأحزاب. الآية: ٣٧.

الرقيق: أتخشى أن يتَّهَمَكَ الناس، بما ليس فيك، والله أحق أن تخشاه، فهو ناصرك ومؤيدك فلن يضرك أحد، فلم يصرح الرسول ﷺ بما أخبره به الوحي بشأن زينب؛ لأنه كان ثقيلاً على نفسه؛ لأنه يخصه، وليس ذلك من التشريع الذي أُمرَ بتبليغه، فالتعابُ هنا لخلافِ الأُولى.

٢- من الصفات الواجبة للرسول عليهم السلام الصدق

والصدق لغةً: ضدُّ الكذب، وهو مطابقتُ الخبر للواقع.

واصطلاحاً: مطابقتُ الخبر للواقع بحسب الاعتقاد.

فغيرُ الخبر وهو الإنشاء بأنواعه (التمني والرجاء والأمر والنهي وغير ذلك) لا يوصف بصدق ولا بكذب، والخبرُ المطابِقُ للواقع في الخارج وفي اعتقاد المتكلم صدقٌ لغةً وشرعاً، وغيرُ المطابقِ فيهما كذبٌ لغةً وشرعاً، والمطابق في الاعتقاد لا في الواقع صدقٌ شرعاً لا لغةً، وذلك كقوله ﷺ لذي اليمين عندما سأله أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله، حين سلم ﷺ من ركعتين: ((كل ذلك لم يكن))، أي ما قصرت الصلاة ولا نسيت، فالرسول ﷺ صادق في هذا الخبر؛ لأنه قال معتقداً ذلك.

والناس مطالبون بالصدق، منهيون عن الكذب، والأنبياء معصومون من الكذب، والصدق الذي به التكليف هو الصدق شرعاً؛ لأنه المقذور للنفس، ولا يكلف الله نفساً إلا وُسْعَهَا.

الدليل على وجوب الصدق للرسول:

أنهم لو لم يصدّقوا للزم الكذب في خبره تعالى، لتصديقه تعالى لهم بالمعجزة النازلة منزلة قوله تعالى: صدق عبدي في كل ما يبلغ عني، وتصديق الكاذب كذب، وهو محال في حقه تعالى، فيستحيل ملزومُه وهو كذب الأنبياء، ويجب صدقهم، يقول الله سبحانه: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾^(١)، أي: لو كذب علينا

(١) سورة الحاقة . الآية: ٤٤ .

٣- من الصفات الواجبة للرسول الفطانة

الفطانة لغة: الفهم وحِدَّةُ العقل والذكاء.

واصطلاحًا: هي التفطنُ والتيقُّظُ لِإلزام الخصوم، وإبطال دعاويهم الفاسدة، وإلزامهم بالحجة.

والفطانة من ألزم الصفات للأنبياء والرسول؛ لأن مهمتهم نشر الدعوة، وتبليغ الرسالة، وإبطال العقائد الفاسدة، وغرس العقائد الصحيحة، وكل ذلك يحتاج إلى النباهة والذكاء والتيقُّظ.

والدليل على وجوب الفطانة للأنبياء والرسول آيات كثيرة، منها قوله تعالى في حق إبراهيم **﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾** (١).

والمراد بالحجة هنا ما احتج به إبراهيم على قومه عباد النجوم والكواكب في قوله تعالى: **﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾** (٢) إلى قوله تعالى: **﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾** (٣).

وقال تعالى حكاية عن قوم نوح: **﴿قَالُوا يَا نُوْحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا﴾** (٤). أي خاصمتنا فأطلت خصومتنا، أو أتيت بأنواع الجدال كُلِّهَا.

وقال تعالى أمرًا نبيه محمدًا **﴿وَحَدِّثْ لَهُمْ بِأَلْفِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** (٥).

- (١) سورة الأنعام . الآية: ٨٣.
- (٢) سورة الأنعام . الآية: ٧٦.
- (٣) سورة الأنعام . الآية: ٨٢.
- (٤) سورة هود . الآية: ٣٢.
- (٥) سورة النحل . الآية: ١٢٥.

وافترى وقال ما لم نقل، **﴿لَاخِذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾** (٥٥) **﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾** (١)، ويقول الله تعالى: **﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾** (٢)، فهذه الأدلة تدل على أنهم لا يكذبون في دعوى الرسالة، ولا في الأحكام الشرعية؛ لأن ذلك هو الذي بلغوه عن الله تعالى.

أما غير ذلك من أمور الدنيا وحديث الناس كقيام زيد وقعد عمرو والتكلم في المباحات، فهو غير داخل في هذه الأدلة، ولكن يدل عليه دليل العصمة، فالله تعالى حفظ ظواهر وبواطن الأنبياء عن التلبس بمنهجي عنه؛ ولذا لم نكن في حاجة إلى التحدث عن الصدق بذاته، وإقامة الدليل على وجوبه للأنبياء، لولا أنه الأساس الذي تقوم عليه دعوتهم، ولذلك أثبتته العلماء بطريقتين، أثبتوه ضمن العصمة، ثم أثبتوه مستقلًا بذاته.

فلم يؤثر عن نبيٍّ أو رسولٍ كذبٌ أبدًا حتى المزاح، فقد كان **﴿صَلَّى﴾** يمزح ولا يقول إلا حَقًّا.

فإن قيل: مرَّ رسول الله **﴿صَلَّى﴾** على جماعة يؤبِّرون النخل - أي يلقحونه - فقال لهم: **﴿لو تركتموها لصلحت﴾**، فتركوها فشاصت (٣).

فالجواب: أن ذلك ليس خبرًا حتى يوصف بصدق أو كذب، إنما هو رجاء، من قبيل الإنشاء، وعدم وقوع المرجو لا يعد نقصًا.

- (١) سورة الحاقة . الآيتان: ٤٦، ٤٥.
- (٢) سورة المائدة . الآية: ٦٧.
- (٣) أخرجه مسلم عن أنس بن مالك.

أي بالطريق التي هي أحسن أي: بالمنظرة التي يراد بها إظهار الصواب وليس إلزام الخصم بحيث تشتمل على نوع من الرفق بهم، ولو كان في الأنبياء والرسول بلادة في الفهم وغفلة عن أساليب الجدال لضاعت الحكمة من إرسالهم، ولما استطاعوا أن يقيموا الحجة على خصومهم؛ لأنَّ المغفل لا يمكنه إقامة الحجة ولا المجادلة، أما وقد أقاموا الحجة ونشروا الدعوة فقد ثبتت لهم الفطنة.

سؤال وجواب:

إن قيل: الآيات التي ذكرت في الفطنة إنما هي واردة في حق بعضهم فقط، فلا تدل على ثبوت الفطنة لهم جميعاً.

فالجواب: أنه إذا ثبتت الفطنة لبعضهم تثبت للجميع لأن حكم الأمثال واحد؛ ولأنها كمال في حقهم وهي لازمة للأنبياء والرسول على السواء، وإن كان الواجب للأنبياء مطلق الفطنة؛ حتى يردوا بها على خصومهم، فقد كان أقوامهم الذين آثروا الكفر على الايمان شديدي الخصومة والجدال لأنبيائهم، شديدي التمسك بمعتقداتهم الباطلة، ومن آمن من أقوامهم لم يؤمن إلا بعد أن حاورهم واقتنع بحجتهم.

٤- من الصفات الواجبة للرسول عليهم السلام التبليغ

التبليغ: هو إخبار الناس بالوحي الذي أنزل على الرسول، وأمر بتبليغه للناس.

والغاية من إرسال الرسول هداية الناس، فهم واسطة بين الخالق والخلق فمهمتهم تلقي الوحي وإيصاله للناس.

والدليل على وجوب التبليغ:

أنَّ الرسل ﷺ لو كتموا شيئاً مما أمروا بتبليغه للخلق لكننا مأمورين بكتمان العلم؛ لأنَّ الله تعالى أمرنا بالافتداء بهم، وكاتم العلم ملعون، بدليل قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾^(١).

ولو كتموا شيئاً مما أمروا بتبليغه لخانوا الأمانة، وخيانتهم محالة، كما أنَّهم لو كتموا لأضاعوا المهمة التي جاءوا من أجلها قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾^(٢).

ولو جاز عليهم كتمان شيء لكتم سيدهم الأعظم ﷺ آيات العتاب الخاصة به التي منها قوله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِيَنِّي أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُشْخَبَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾^(٤)، وقوله تعالى:

(١) سورة البقرة . الآية: ١٥٩ .

(٢) سورة المائدة . الآية: ٦٧ .

(٣) سورة الأنفال . الآية: ٦٧ .

(٤) سورة التوبة . الآية: ٤٣ .

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَخَشِيَ النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ ﴾^(١) فتبليغ هذا العتاب دليلٌ على الأمانة وعدم الكتمان؛ إذ لو كتم شيئاً لكتم هذا العتاب.

ثم إن الله توعدهم على الكتمان، وصدّقهم، وأيدهم بالمعجزات، ولو كتموا شيئاً لفضحهم، ولسلب منهم تأييده لهم، وبذلك ثبت أنهم بلّغوا ولم يكتموا.

ما يستحيل على الرسل:

عرفت - فيما سبق - أنه يجب للأنبياء والرسل إجمالاً كلُّ كمالٍ بشريٍّ، ويجب لهم تفصيلاً أربع صفاتٍ هي: الأمانة (العصمة)، والصدق، والفتانة، والتبليغ. وإذا وجب لهم كلُّ كمالٍ بشريٍّ استحال في حقهم كلُّ نقص بشريٍّ، وإذا وجبت لهم الصفات الأربعة استحال عليهم ضدها، فضد الأمانة الخيانة، وضد الصدق الكذب، وضد الفتانة البلادة والغفلة، وضد التبليغ الكتمان لشيء مما أمروا بتبليغه.

فالأنبياء والرسل يستحيل عليهم كلُّ نقصٍ يؤدي إلى خستهم ونفرة الناس عنهم، وتعطيل رسالتهم؛ إذ إنهم لو اتصفوا بشيء من ذلك لانقض الناس من حولهم، فيفوت الغرض الأسمى من الرسالة، وتضيع حكمة الاصطفاء والاختيار.

المناقشة

س ١: ما الذي يجب للرسل إجمالاً وتفصيلاً؟

س ٢: ينكر البعض عصمة الأنبياء لنصوص يتمسك بظاهرها، كيف تناقش هؤلاء المنكرين؟

س ٣: قال تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾.

في ضوء عصمة الأنبياء اشرح المقصود بالآية السابقة.

س ٤: قال الناظم **رحمته**:

وواجب في حقهم الأمانة * * *

س ٥: من الذين يجب في حقهم هذه الصفة؟ وما معناها؟ وهل تجب لهم صفات أخرى؟

(١) سورة الأحزاب . الآية: ٣٧.

١٠ - الجائز في حق الأنبياء والرسول

قَالَ النَّاطِمُ رحمته الله:

وَجَائِزٌ فِي حَقِّهِمْ كَالْأَكْلِ * وَكَالْجَمَاعِ لِلنِّسَاءِ فِي الْحِلِّ

يجوز في حق الأنبياء والرسول جميع الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مرتبتهم العلية، ولا فرق بين أن يكون الجائز في حقهم من توابع الصحة التي لا يُستغنى عنها عادةً كالأكل والشرب والنوم، أو التي يمكن أن يُستغنى عنها بدون مشقة أو بمشقة محتملة، مثل معاشره النساء حلالاً. والأنبياء معصومون من الوقوع في المحرم، فلا يتناولون المباح إلا إذا كان حلالاً، فهم الذين يعتقدون ويعلمون الناس أن كل جسم نبت من حرام فالنار أولى به، فلا يأكلون الربا ولا يَعْشُونَ، ولا يُجَامِعُونَ إلا ما أحله الله فلا يطئون المجوسية ولا المشركة لا بعقد ولا بملك يمين، وخالف الإمام ابن العربي المالكي في الأمة الكتابية، وقال: لا تحل للنبي، مُعللاً بأنه رحمته الله شريف عن أن يضع نطفته في رحم كافرة، ولأنها تكره صحبته، أما الأمة المسلمة فيجوز وطؤها بملك اليمين فقط باتفاق العلماء.

ولا يجوز في حق الأنبياء أن يعقدوا على الأمة حتى لو كانت مسلمة؛ لأن الأمة إنما تنكح لخوف العنت والوقوع في الزنا، والأنبياء والمرسلون معصومون؛ أو تنكح؛ لعدم الطول وهو عدم القدرة على المهر، والنبي والرسول يقدران على المهر.

ولا يجوز الاحتلام على الأنبياء؛ لأنه من الشيطان، وليس له سلطان عليهم، وقد ورد (ما احتلم نبي قط) صححه الإمام النووي^(١).

ويجوز على الأنبياء المرض غير المنفر فقد مرض الرسول رحمته الله وقال: «إني لأوعك كما يوعك الرجلان منكم»^(٢).

ويجوز عليهم الإغماء، ولكن بشرط ألا يكون طويلاً، فإن كان طويلاً فلا، ولا يجوز عليهم الجنون قليله وكثيره؛ لأنه نقص، وكذلك الجزام والبرص والعمى، وغير ذلك من الأمراض المنفرة، فلم يعم نبي قط، أما قوله تعالى في حق يعقوب رحمته الله: ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾^(٣)، فلم يكن عمى، وإنما كان حجاباً على العين من كثرة الدموع، ولذلك لما جاءه البشير عاد بصيراً، وما قيل في حق نبي الله أيوب رحمته الله من الأمراض المنفرة فذلك من أقاصيص المخترعين والإسرائيليات الكاذبة التي تهدف إلى تشكيك الناس في معتقداتهم، والصواب: أن الذي كان به من مرض شديد لم يكن مرضاً منفراً، وهو نوع من الابتلاء والاختبار، كشفه الله عنه عندما اتجه إليه ودعاه، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٤) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ^(٥).

- هل يجوز في حق الأنبياء والمرسلين أن يعرض لهم السهو والنسيان؟

السهو في اللغة الغفلة، والنسيان ضد الذكر والحفظ، وفرقوا بين الساهي والناسي، بأن الناسي إذا ذكرته تذكر، والساهي بخلافه.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، وابن عدي في الكامل.

(٢) متفق عليه.

(٣) سورة يوسف . الآية: ٨٤.

(٤) سورة الأنبياء . الآيتان: ٨٣، ٨٤.

والسهو يمتنع على الأنبياء والمرسلين في الأخبار البلاغية، كقولهم: (الجنة أعدت للمتقين) وقولهم: (عذاب القبر واجب)، (القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار)^(١)، وكذلك يمتنع عليهم في الأخبار غير البلاغية: كقام زيد وقعد عمرو، أما السهو في الأفعال سواء كانت بلاغية كالسهو في الصلاة، أو غير بلاغية فيجوز عليهم، ويكون ذلك تشريعاً، ولا يكون السهو في حقهم ناشئاً عن الاشتغال بغير الله، وإنما يسهون عما سوى الله، فينصرفون بقلوبهم إليه، ويغفلون عما هم فيه، وهذا تعظيم لله.

يَسْأَلِي عَنِ رَسُولِ اللَّهِ كَيْفَ سَهَا * وَالسَّهْوُ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ؟

قَدْ غَابَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سِرُّهُ فَسَهَا * عَمَّا سِوَى اللَّهِ فَالتَّعْظِيمُ لِلَّهِ

أما النسيان فهو ممتنع عليهم فيما يتصل بشيء مما أمرُوا بتبليغه، سواء كان قولاً كقولهم: (الجنة أعدت للمتقين) أو فعلاً كصلاة الضحى، فإن الله أمرهم بفعلها ليقنتدي الناس بهم.

فلا يجوز عليهم نسيان شيء قبل تبليغه؛ لأنَّ هذا منافٍ لوظيفتهم وهي دعوة الناس بما أمرُوا بتبليغه.

أما النسيان بعد التبليغ فيجوز عليهم، ويكون من الله تعالى، وليس من الشيطان؛ لأنه ليس له عليهم سبيل، أما قول نبي الله يوشع (فتى موسى ﷺ): - كما حكاه القرآن الكريم - ﴿وَمَا أَسْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾^(٢)، فهذا تواضع منه، أو قبل علمه بحال نفسه من أنه مسير بالإرادة الإلهية في هذا الأمر حتى يصل موسى ﷺ إلى مطلوبه من مقابلة الرجل الصالح: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ﴾^(٣).

(١) رواه الترمذي وقال حديث غريب.

(٢) سورة الكهف . الآية: ٦٣ .

(٣) سورة الكهف . الآية: ٦٤ .

فإن قيل: فلم تسلط الشيطان على آدم ﷺ بالوسوسة؟ فالجواب: أن تلك الوسوسة كانت بتمثيل ظاهري، وليس بتأثير قلبي، والممنوع في حق الأنبياء إنما هو لعب الشيطان ببواطنهم.

وبالجملة: فيجوز على الأنبياء والمرسلين ما يجوز على سائر البشر مما لا يؤدي إلى نقصٍ، وذلك في الظاهر فقط، أما الباطن فهو متعلق بالله تعالى.

١١- المعجزة

قَالَ النَّازِمُ رحمته الله:

بالمعجزات أُبْدُوا تَكَرُّمًا * وَعِصْمَةً الْبَارِي لِكُلِّ حَتْمًا

تمهيد:

أودع الله في هذا الكونِ قوانينَ طبيعيةً يسير على سُنَنِهَا، واستطاع الإنسان أن يدرك كثيرًا من هذه القوانين وأن يستغلها في صالح الإنسانية، ومعرفة بعض هذه القوانين بديهية كإحراق النار للخشب، وقطع السكين للحم، وإطفاء الماء للنار، وبعضها نظري (يحتاج إلى تأملٍ وفكرٍ) كمعرفة تمدد المعادن بالحرارة وانكماشها بالبرودة، وكقضاء بعض العقاقير على أنواع خاصة من ميكروبات الأمراض.

ولكننا نجد في بعض الأحوال أن هذه القوانين الطبيعية تتخلف، ويكون تخلفها غير خاضع لسبب علمي، أو لقانون طبيعي آخر، ونجد أن هذا التخلف يقع في حدود ضيقة، وعلى أيدي أفراد مخصوصين، لا يستطيع غيرهم أن يجاريهم فيما يفعلون، فيقول الناس إن هذا أمرٌ خارق للعادة يعجز الكافة عن الإتيان بمثله.

وقد تناول العلماء والمفكرون هذه الأمور الخارقة للعادة بالبحث فلم يجدوا لها محدثًا إلا الله سبحانه، فهو الذي خلق القوانين الطبيعية، وهو القادر على تغييرها وتوقيفها.

ولكن مَنْ تجري هذه الخوارق على أيديهم ليسوا صنفًا واحدًا، وبالتحري والبحث وُجد أنهم ينحصرون في أنواعٍ ستة: فقد يظهر الأمر الخارق على يدي

شخصٍ معروف بالصلاح، أو مستور الحال، أو فاسقٍ، والمعروف بالصلاح إما أن يدعي النبوة أو لا، والفاسق إما أن يكون الخارق وفقًا لمطلوبه أو لا، كما يأتي ذلك تفصيلًا:

أنواع الخوارق:

للخوارق أنواعٌ ستة:

أولاً: المعجزة:

المعجزة لغة: مأخوذة من العجز، أي الضعف وعدم القدرة.

واصطلاحًا: أمرٌ خارق للعادة مقرونٌ بالتحدي (أي دعوى النبوة أو الرسالة) مع عدم إمكان المعارضة.

أو هي كما قال سعد الدين التفتازاني: أمرٌ يظهر بخلاف العادة على يد مُدَّعي النبوة عند تحدي المنكرين على وجهٍ يعجز المنكرون عن الإتيان بمثله.

شروط المعجزة:

للمعجزة شروطٌ سبعة:

١- أن تكون حادثةً، فتخرج بذلك صفاتُ الباري القديمة عن تعريف المعجزة

والأمر الخارق إما أن يكون:

- قولًا: كالقرآن الكريم.

- أو فعلًا: كإنقلاب العصا حية، وكنيع الماء من بين أصابعه رحمته الله.

- أو تركًا: كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم رحمته الله.

٢- أن تكون على خلاف العادة، وهي ما اعتاده الناس واستمروا عليه مرة بعد أخرى، فالمعجزة لا تخضع لأسباب، ولا تنتج عن مقدمات، فما كان كذلك فليس من المعجزة في شيء كتمدد المعادن بالحرارة وانكماشها بالبرودة.

٣- أن تظهر على يد مدعي النبوة أو الرسالة؛ لتكون تصديقاً له في دعواه، ويكون بمنزلة قول الله سبحانه: (صدق عبدي فيما يبلغ عني).

٤- أن تكون موافقة للدعوى غير مُكذِّبة للمُدَّعي تكذيباً واقعاً من غير عاقل، كما إذا قال: آية صدقي أن ينطق هذا الجمادُ أو هذا الحيوانُ فنطقُ قائلًا: إنك مفترٍ كذاب، أما إذا كان التكذيب من عاقل فلا عبرة بالتكذيب، كما إذا قال: آية صدقي أن ينطق هذا الميت فنطقُ مكذباً له، فيكون نطقه معجزةً ولا عبرةً بتكذيبه؛ لأنه عاقل، ولعله اختار الكفر على الإيمان فعبر عن رأيه باختياره.

٥- ألا تكون في زمن نقض العادة كزمن طلوع الشمس من مغربها في نهاية العالم، وما يقع من الدجال كأمره السماء أن تمطر فتمطر، وأمره الأرض أن تنبت فتنبت، فهذا ليس من المعجزة؛ لأنه وقع في زمن خرق العادة اختباراً وامتحاناً.

٦- أن تتعذر معارضته.

٧- أن تكون مقرونةً بدعوى النبوة أو الرسالة حقيقةً، أو حُكماً بأن تأخر ظهور الخارق زمنًا يسيرًا.

ثانياً: الكرامة:

وهي أمرٌ خارقٌ للعادة يظهره الله على يد عبد صالح، غير مُدَّعي النبوة. فالكرامة يجريها الله سبحانه على يد أوليائه تكريمًا لهم وتعظيمًا لشأنهم.

ثالثاً: المعونة:

وهي أمرٌ خارقٌ للعادة يظهره الله على يد شخص من عامة الناس أي ظاهر الصلاح تخليصاً له من شدة، كاستجابة دعوة أو تخليص من محنة.

رابعاً: الاستدراج:

وهو أمرٌ خارقٌ للعادة يظهر على يد شخصٍ ظاهر الفسق والفجور، أو الكفر والشرك، يدعي الألوهية، وقد تكون على وفق مراده؛ ليزيد طغيانه وغروره، ثم يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر.

خامساً: الإهانة:

وهي أمرٌ خارقٌ للعادة يظهر على يد شخصٍ ظاهر الفسق والفجور أو الكفر والشرك، يدعي النبوة على خلاف مطلوبه وعكس مراده، تكذيباً له في دعواه، كما حدث لمسيلمة الكذاب عندما أراد أن يفعل كرسول الله ﷺ، فتقل في عين عوراء لتبرأ فعميت الصحيحة.

سادساً: الإرهاس:

أمرٌ خارقٌ يظهر على يد من هيأه الله سبحانه وتعالى قبل بعثته لتَحْمِلَ رسالته تأسيساً للنبوة، ليلتفت نظرُ القوم إليه وتَوَجَّه القلوبُ نحوه؛ كإظلال الغمام للنبي ﷺ قبل البعثة.

الفرق بين الخوارق والسحر والشعوذة:

السحر هو التمويه بالخيال والتخايل، وأما الشعوذة أو الشعبة فهي خفة اليد ليرى أن لها حقيقة ولا حقيقة لها كفعل الحواة وكلاهما: السحر والشعوذة في ظاهره خرق للعادة، لكنه يخضع للتعليم والتعلم، ويمكن أن يأتي أكثر من شخص بأفعال متشابهة إذا تعلموها، ثم إنها ليسا مقرونين بدعوى الرسالة فلا يكون أحدهما معجزة، ولا يأتي السحر أو الشعوذة من ظاهر الصلاح ولا مستور الحال فليسا من الكرامة ولا من المعونة، وإنما تأتي هذه الأفعال من الفساق والمرترقة، يموهون بها على العامة لسلب أموالهم بغير عناء.

- والحق ما يراه أهل السنة من أن للسحر حقيقة تخضع للتعليم، وقد ثبت بالقرآن والسنة؛ فالله سبحانه وتعالى يقول في قصة سحرة فرعون: ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾^(١).

- ويرى المعتزلة أن السحر لا حقيقة له، ولا يخرج عن أن يكون خفة في اليد كالشعوذة.

ولا حجة للمعتزلة في قوله سبحانه: ﴿يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾^(٢) ولم يقل تسعى على الحقيقة؛ لأن التخيل من السحر، ولا حجة لهم أيضًا في قوله: ﴿سَكَّرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾^(٣)، أي ولم يغيروا الحقائق؛ لأن سحر الأعين تغيير للحقائق.

(١) سورة الأعراف . الآية: ١١٦ .

(٢) سورة طه . الآية: ٦٦ .

(٣) سورة الأعراف . الآية: ١١٦ .

حكم المعجزة:

- تأييد الله سبحانه لرسوله ﷺ بالمعجزات تفضلاً منه وتكرماً عليهم حتى تسهل مهمتهم ولا تقوم الحجة عليهم.

- وليس التأييد بالمعجزة واجباً على الله سبحانه كما يقول الفلاسفة وكما ينسب إلى المعتزلة؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء فهو سبحانه فعال لما يريد.

- وليست المعجزة مستحيلة كما يقول السُّمْنِيَّةُ والبراهمة بناءً على استحالة إرسال الرسل عندهم والاكتفاء بالعقل؛ لأن الواقع يكذبهم؛ فقد جاء الأنبياء والرسل مؤيدين بالمعجزات، فهي ممكنة عقلاً واقعة فعلاً وهو رأي أهل الحق.

دلالة المعجزة على صدق الرسول:

المعجزة تصديق من الله لرسوله في دعواه الرسالة، فدالاتها تفيد اليقين لمن شاهد المعجزة وعانيتها ورأى عجز الجميع عن الإتيان بمثله، وكذلك تفيد اليقين لمن لم يشاهد بنفسه وإنما نقل إليه الخبر عن طريق التواتر إذا كان في موضع بعيد عن الرسول، أو في عهد بعد عهد الرسول، ولم يخالف أحد من العلماء في أن دلالة المعجزة دلالة يقينية.

بعض معجزات الأنبياء:

- انقلاب العصا حية في يد موسى عليه السلام تلقف ما يأفك الكفرة، وضم يده إلى جناحه وإخراجها بيضاء من غير سوء.

- ناقة نبي الله صالح ﷺ التي خرجت أمام القوم من صخرة صماء، وشرط عليهم أن يكون لها شرب يوم، ولهم شرب يوم، فضاقوا بها ذرعاً، فانبعث

أشقاهم فعقر الناقة فَحَلَّ عَلَيْهِمْ غَضَبُ اللَّهِ ونزلت بهم الكارثة وأخذتهم الصاعقة.

- ومنها معجزات نبي الله عيسى عليه السلام، كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وإخبارهم بما في بيوتهم من مدخراتهم، ومنها ما طلبوه من عيسى عليه السلام أن يُنَزِّلَ عليهم مائدة من السماء فطلبها عليه السلام من الله: ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾^(١).

المناقشة

س ١: هل يجوز في حق الأنبياء والمرسلين أن يعرض لهم السهو والنسيان؟
فصّل إجابتك.

س ٢: تجري كثير من الأمور غير العادية في حياة الناس، فكيف تفرق بين المعجزة والسحر والكرامة وغير ذلك من الخوارق؟

س ٣: هل يجب على الله عز وجل أن يؤيد رسله بالمعجزات؟

١٢- معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم

قَالَ النَّاطِمُ رحمته الله:

ومعجزاته كثيرة غُرِرَ * * منها كلام الله مُعْجَزُ الْبَشَرِ
واجزِمُ بمعراج النبي كما رَوُوا * *
معجزاته صلى الله عليه وسلم:

- القرآن الكريم نُقِلَ إلينا بطريق التواتر، فمُنْكَرُ هذه المعجزة يُعْتَبَرُ كَافِرًا.

- أما المعجزات المادية فمنها المشهورُ كنع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ومنكرها فاسق.

- ومن المعجزات ما لم يبلغ هذا القدر من الشهرة، وإنما نقل عن طريق صحيح أو حسن، فلا يفسق منكرها.

المعجزة الخالدة ((القرآن الكريم))

هو اللفظ المنزّل على النبي صلى الله عليه وسلم المنقول بالتواتر المُتَعَبَّدُ بتلاوته، المُتَحَدِّي بأقصر سورةٍ منه.

- والقرآن أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم؛ لأن التحدي به لا يزال قائماً إلى أن تقوم

الساعة قال تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾^(١).

ثم إنه ليس مرتبطاً بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم كبقية المعجزات، فعصا سيدنا موسى عليه السلام لا تنقلب حية إلا في يده، ولا يستطيع أحد من أتباعه أن يخرج يده بيضاء

(١) سورة الإسراء . الآية: ٨٨.

(١) سورة المائدة . الآية: ١١٥.

من غير سوء كما خرجت يد موسى ﷺ، وإحياء الموتى لا يأتي إلا على يد سيدنا عيسى ﷺ بذاته، ونبع الماء إنما كان من بين أصابع سيدنا محمد ﷺ، وأما القرآن فقد تلاه سيدنا محمد ﷺ، وحفظه أتباعه، وكل منهم يتلوه كما تلاه سيدنا محمد النبي ﷺ وينقل ألفاظه من مكان إلى مكان، ومن زمان إلى زمان، والهداية قائمة والتحدي موجود، والمعجزة دالة على الرسالة من غير حاجة إلى بقاء سيدنا «محمد» ﷺ، ليحمل المعجزة بنفسه ويتحدى المعاندين.

- وقد اشتمل القرآن الكريم على تشريع حكيم لسياسة الدنيا وجعلها طريقاً موصلاً إلى الآخرة، وقد اعترف أعداء الإسلام بمنزلة هذه الشريعة، وجعلها مرجعاً من مراجع القوانين.

إعجاز القرآن:

كان العرب إبان بعثة النبي ﷺ أئمة الفصاحة والبلاغة، يديرون الألفاظ، والمعاني في خطبهم، وأشعارهم بأساليب يطرَبُ لها الذوق السليم؛ فكان لا بد أن تأتي المعجزة من قبيل ما برع فيه القوم، فلما سمعوا تلك الآيات اليبينات ملكت عليهم قلوبهم، وعقولهم، وخرُّوا ساجدين لفصاحتها، ولكن شيطانهم وهواهم أبى على كثير منهم الإذعان لهذه الهداية، فرموا الرسول ﷺ تارة بأنه ساحرٌ، وثانية بأنه شاعر، وأخرى بأن ما أتى به أساطير الأولين، ولم تُفت هذه الاتهامات في عضده ﷺ، وإنما استمر في دعوته متحدياً لهم أن يعارضوا هذا التنزيل المحكم - كما قص لنا القرآن الكريم ذلك - قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾^(١) ولكنهم يقفون حيارى، ومع ذلك يستمرون على جحودهم، فيتنزل معهم ويخفف تحديه فيطلب منهم الإتيان بعشر سورٍ قال

(١) سورة الطور . الآية: ٣٤.

تعالى: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَعْطَمَ مِن دُونِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ﴾^(١) فلا يستطيعون الإجابة؛ فيطالبهم بسورة واحدة قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ﴾^(٢)، ثم يسجل عليهم العجز وينذرهم عاقبة الكفر قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوْا وَلَنْ تَفْعَلُوْا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِيْ وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِيْنَ﴾^(٣)، ولا يقتصر التعجيز على الموجودين في عهده ﷺ؛ وإنما يمتد إلى كل زمان ومكان وإلى الإنس والجن قال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْاِنْسُ وَالْجِنُّ عَلٰى اَنْ يَّاتُوْا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْاٰنِ لَا يَأْتُوْنَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراَ﴾^(٤).

جهة إعجاز القرآن الكريم:

أنزل الله القرآن الكريم معجزة لنبيه مُصَدِّقَةً لدعواه، وقد تحدى العرب أن يأتوا بمثل سورة منه فلم يستطيعوا مع أنهم أمراء الكلام، وقد خرُّوا ساجدين لبلاغته وفصاحته.

ولم يكن إعجازه قاصراً على البلاغة والفصاحة، وإنما كان ذلك من وجوه، نذكر منها:

١- نزل القرآن منجماً في ثلاث وعشرين سنة تبعاً للمناسبات والظروف، ثم كَوَّنت آياته هذا النظم المحكم، فأصبح كتاباً واحداً متناسقاً تناسب الآيَةُ الآيَةُ، والسورةُ السورةُ، لا تجد فيه عوجاً ولا أمثاً.

٢- اشتمل على إشارات إلى كثير من عجائب الكون ومحتويات هذا الوجود

(١) سورة هود . الآية: ١٣ .

(٢) سورة البقرة . الآية: ٢٣ .

(٣) سورة البقرة . الآية: ٢٤ .

(٤) سورة الإسراء . الآية: ٨٨ .

بما لا يعلمه العرب الأميون، ولا رسولهم النبي الأُمِّي ﷺ، كقوله سبحانه: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَّجِرَةٌ وَجَنَّتٌ مِّنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنَفْضِلٍ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾^(٢).

٣- ذكر القرآن قصص السابقين من الأنبياء والمرسلين، وما حدث لهم مع أمهم مما كان يكتمه أهل الكتاب فلم يجرؤوا على تكذيب شيء من أنبائه.

٤- أخبر عن أمور مستقبلية، وقعت كما أخبر وصدقها الحوادث، كقوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَاءَ مَا يَحْكُمُهُمْ وَسَاءَ لَنْفُسِهِمْ غَلِيظٌ عَذَابٌ﴾^(٣) في يَضَعُ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٤).

وكقوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِذَا شَاءَ اللَّهُ عَامِنِينَ مُخْلَفِينَ رُءُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(٥).

٥- جمع القرآن بين دفتيه تشريعاً حكيماً تناول مناحي الحياة اقتصادية كانت، أم سياسية، أم اجتماعية، وقد أثبت التطبيق الصحيح أن هذه التشريعات أصلح ما حُكِمَتْ به الأرض منذ نشأتها إلى أن تقوم الساعة.

(١) سورة الرعد . الآية: ٤ .
(٢) سورة فاطر . الآية: ٢٧ .
(٣) سورة الروم . الآيات: ٤-١ .
(٤) سورة الفتح . الآية: ٢٧ .

٦- لم يستطع أعداء القرآن - مع كثرتهم - أن ينالوا منه؛ إذ لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، ولسهلت مهمتهم في طعنه والقضاء عليه، ولكنه تشريع خالدٌ وعد الله بحفظه في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١) وها هي ذي القرون تتوالى وهو لا يخلق على كثرة الرد.

٧- نزول هذا القرآن المعجز على نبي في بيئة أمية لم تأخذ بقسط من التعليم ولم تنتشر فيها معرفة قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٢).

هذا قليل من كثير من وجوه إعجاز القرآن الكريم لم يستطع معها المعارضون أن يأتوا بشيء مثله

بعض معجزات سيدنا محمد ﷺ الحسية:

ذكر القرآن الكريم كثيراً من المعجزات الحسية للأنبياء، واقتصر على ذكر بعض المعجزات المادية لرسولنا ﷺ إشارة إلى أن اعتماد الدعوة الخالدة ليس إلا على القرآن، ومنها:

١- انشقاق القمر:

طلب كفار مكة من الرسول ﷺ أن يريهم آية على صدقه، فأشار إلى القمر فأصبح فلقين رأوا الجبل بينهما، وقد سجل القرآن الكريم ذلك، وجعله علامة على قرب الساعة، وندد بالكفار لإعراضهم عن الحق في قوله سبحانه: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^(١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾^(٢).

(١) سورة الحجر . الآية: ٩ .
(٢) سورة الجمعة . الآية: ٢ .
(٣) سورة القمر . الآيات: ٢، ١ .

عَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمِنَى إِذَا انْفَلَقَ الْقَمَرُ فَلَقْتَيْنِ، فَكَانَتْ فَلَقَةً وَرَاءَ الْجَبَلِ، وَفَلَقَةٌ دُونَهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اشْهَدُوا»^(١).

٢- تسليم الحجر والشجر على الرسول ﷺ:

روى جمع من ساداتنا الصحابة رضي الله عنهم أحاديث تسليم الحجر والشجر على الرسول ﷺ، ومن ذلك ما روي عن سيدنا علي رضي الله عنه أنه قال: «كنت مع النبي ﷺ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله حجر ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله»^(٢).

وروى القاضي عياض من حديث سيدنا ابن مسعود في حديث استماع الجن للرسول ﷺ: «أن الجن قالوا مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ قال هذه الشجرة، تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها»^(٣).

٣- حنين الجذع:

قال سيدنا جابر رضي الله عنه: كان المسجد مسقوفاً على جذوع نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صُنِعَ له المنبر، سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العِشَارِ، وفي رواية أنس حتى ارتجَّ المسجد بجواره^(٤).

وفي حديث سيدنا بريدة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «إن شئت أردك إلى الحائط أي البستان الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك، ويجدد لك خوص وثمره وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك، ثم أصغى له النبي ﷺ يستمع

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه الترمذي.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه.

(٤) أخرجه البخاري.

ما يقول، فقال: بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله، وأكون في مكان لا أبلئ فيه، فسمعه من يليه، فقال النبي ﷺ: فقد فعلت: ثم قال: اختار دار البقاء على دار الفناء، وأمر به فدُفِنَ تحت المنبر، فكان الحسن إذا حدث بهذا بكى وقال: يا عباد الله الخشبة تحنُّ لرسول الله ﷺ شوقاً إليه لمكانه، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقاءه»^(١).

٤- تسبيح الحصا:

روى سيدنا ثابت أن أنس بن مالك قال: «كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ، فأخذ كفا من حصا فسبَّحَنَ في يده حتى سمعنا التسبيح، ثم صبهن في يد سيدنا أبي بكر فسبحن، ثم في يد سيدنا عمر فسبحن، ثم في يد سيدنا عثمان فسبحن، ثم صبهن في أيدينا فما سبحن»^(٢).

٥- شهادة الضب:

روى عن سيدنا عمر أن رسول الله ﷺ، كَانَ فِي مَحْفَلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ قَدْ صَادَ صَبًّا فَقَالَ مَنْ هَذَا؟ قالوا: نبي الله فقال: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَا آمَنْتُ بِكَ، أَوْ [أَوْ: بمعنى حتى] يُؤْمِنَ بِكَ هَذَا الضَّبُّ، وَطَرَحَهُ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ ﷺ له: «يَا ضَبُّ» فأجابه بلسان مبین يسمعه القوم جميعاً: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا زَيْنَ مِنْ وَافِي الْقِيَامَةِ. قَالَ: مَنْ تَعْبُدُ؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ عَرُشُهُ، وَفِي الْأَرْضِ سُلْطَانُهُ، وَفِي الْبَحْرِ سَبِيلُهُ، وَفِي الْجَنَّةِ رَحْمَتُهُ، وَفِي النَّارِ عِقَابُهُ. قَالَ: «فَمَنْ أَنَا؟» قَالَ: رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ صَدَّقَكَ، وَخَابَ مَنْ كَذَّبَكَ» فأسلم الأعرابيُّ^(٣).

(١) أخرجه أحمد في مسنده.

(٢) أخرجه البزار في مسنده.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير.

٦- رد عين قتادة رضي الله عنه:

حينما اشتدت الحرب في غزوة أُحُد، وأحاط المشركون بالمسلمين، فكان سيدنا قتادة يتلقى السهام عن سيدنا رسول الله ﷺ، فأصاب عينه سهمٌ فسالت على خده؛ فأخذها بيده، وسعى إلى سيدنا رسول الله ﷺ، فلما رآه على هذه الصورة دمعت عيناه، وقال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت رددتها ودعوت الله لك فلم تفقد منها شيئاً، فقال سيدنا قتادة: إن الجنة لجزء جميل، وإني أخشى أن أُعَيَّرَ، ولكن رُدَّها واسأل الله لي الجنة، فردها ودعا له؛ فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظراً، وكانت لا ترمد إذا رَمِدَتْ الأخرى^(١).

٧- الإسراء والمعراج:

قَالَ النَّاطِمُ رحمته الله:

وَأَجْزِمُ بِمِعْرَاجِ النَّبِيِّ كَمَا رَوَوْا * * *

مما فُضِّلَ به رسولنا الكريم: دعوته لمشاهدة ملكوت السماء والأرض في تلك الرحلة القدسية التي رَكِبَ فيها البُرَاق، وَصَحَبَهُ فيها جبريلُ؛ وميكائيلُ؛ حيث أُسْرِيَ به ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهناك التقى بالأنبياء الذين جمعهم الله لتحتيته، ثم عرج به إلى السموات السبع، حيث كان في استقباله في كل سماء نبي مقرب، ولا زال يترقى إلى سدرة المنتهى إلى حيثُ سمع صوت الأعلام ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَدَّنَى﴾ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ وهناك فرضت عليه وعلى أمته الصلاة: خمساً في الأداء وخمسين في الثواب، وقد عاد من ليلته إلى حيث بدأت الرحلة.

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده.

(٢) سورة النجم . الآيات: ٨ - ١٠ .

والإسراء: أي السير ليلاً، والمعراج: أي: الصعود إلى السماء، في حد ذاتهما أمران خارقان للعادة: أُكْرِمَ بهما سيدنا رسول الله ﷺ تطيباً لنفسه، لما لقيه من تكذيب قومه، وقد أصبح يُحَدِّثُ بهما فَسَخَرَ منه الكفار، وارتدَّ ضعاف الإيمان؛ لأنهم لم يتصوروا أن شخصاً يقطع هذه المسافات الشاسعة ثم يصعد إلى السماء كما يزعم ويعود من ليلته.

الإسراء والمعراج بالروح والجسد:

وقع خلاف بين العلماء في الإسراء والمعراج هل كانا يقظة أو مناماً؟ وهل كانا بالروح والجسد أو بالروح فقط؟ والصحيح أنهما كانا يقظة بالروح والجسد، ولو كانا غير ذلك لما كان هناك معنى للتكذيب وارتداد بعض ضعاف الإيمان وسخرية الكفار.

والذين يعترضون على وقوع المعراج بأن السموات لا تقبل الخرق والالتهام، وبأن الإنسان لا يمكن أن يعيش خارج الغلاف الهوائي إلى غير ذلك من الاعتراضات، لم يضعوا في أذهانهم أن الأمر خارق للعادة، فلا يخضع للقوانين الطبيعية العادية، وإلا لما كان خارقاً.

حكم منكر الإسراء والمعراج:

ثبت الإسراء بالكتاب والسنة والإجماع فمنكره كافر، أما المعراج فقد ثبت بالسنة الصحيحة وأشار القرآن إليه في سورة النجم، فمنكره فاسق؛ لأنه لم يكذب صريح القرآن ولا المتواتر من السنة.

ما يجب اعتقاده في شأن عائشة رضي الله عنها:

قَالَ النَّاطِمُ رحمته الله:

..... * * * وَبَرَّئْنَا لِعَائِشَةَ مِمَّا رَمَوْا

يجب اعتقاد براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مما رماها به أهل الإفك المنافقون عبد الله بن أبي بن سلول وأتباعه.

وقد جاء القرآن ببراءتها، وانعقد عليه إجماع الأمة، ووردت بها الأحاديث الصحيحة. فمن جحد ببراءتها، أو شك فيها، فقد كفر.

* * *

١٣ - سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين

قَالَ النَّاطِمُ رحمته الله:

وَحُصَّ خَيْرُ الْخَلْقِ أَنْ قَد تَمَّ * * * بِهِ الْجَمِيعَ رَبُّنَا وَعَمَّمَا
بَعَثْتَهُ، فَشَرُّهُ لَا يُنْسَخُ * * * بغيره حتى الزمان يُنْسَخُ
وَنَسَخُهُ لِشَرِّهِ غَيْرِهِ وَقَع * * * حَتَّى أَذَلَّ اللَّهُ مَنْ لَهُ مَنَعُ

خصَّ الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بأن جعله خاتم الأنبياء والمرسلين، وأرسله إلى جميع المكلفين من الجن والإنس.

وقد اقتضت حكمة الله سبحانه أن يعهد إلى الثقلين بالتكاليف الشرعية، ولما كان العقل الإنساني كائناً حياً ينشد الكمال، كانت التكاليف التي تناسبه في زمن لا تناسبه في زمن آخر، والتي تناسب بيئة ومجتمعاً خاصاً قد لا تناسب بيئة أخرى ومجتمعاً مغايراً، فكانت الرسل تأتي بشرائع تناسب عقلية الجماعات التي تُرسل إليها وبيئتها، وكان العالم في حاجة إلى رسالة تتم بها الرسالات، وشريعة تحتّم بها الشرائع، فبعث محمد بن عبد الله خاتم الرسل بالشرعية الخالدة العامة. ولا يطعن في ختمه صلى الله عليه وسلم للأنبياء وجود الخضر وإلياس عليهما السلام الآن على القول بحياتهما؛ إذ إن المقصود أنه لا تبدأ نبوة ولا تنزل شريعة بعده صلى الله عليه وسلم.

وكذلك لا يطعن في ختمه للأنبياء والرسل نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان، لأنه سَيَحْكُمُ بِشَرِيعَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وسيكون فرداً من أفراد الأمة الإسلامية، ولا ينافي ذلك أنه حين يَنْزِلُ يحكم برفع الجزية عن أهل الكتاب، ولا يقبل منهم إلا الإسلام، فيكون ذلك نسخاً لحكم من أحكام الإسلام؛ لأن الإسلام جعل قبول

الجزية من أهل الكتاب موقوتاً بنزول عيسى عليه السلام، فإذا نزل انقطعت شبهتهم في اتباعهم له؛ لأنه يدعوهم إلى الإيمان بسيدنا محمد عليه السلام.

ختم رسالته عليه السلام للرسالات:

وقد ثبت أنه عليه السلام خاتم النبيين بالأدلة القطعية التي لا تحتمل تأويلاً، من ذلك قول الله سبحانه: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ والنبى أعم من الرسول، فيلزم من ختم الأنبياء، ختم الرسل، ويقول عليه السلام: «أنا العاقب فلا نبى بعدى»^(١)، وفسر العلماء العاقب بأنه: الذي يُحشّر الناس على عقبه؛ فهو عليه السلام آخر نبى يأتي بشريعة، وتشريعه آخر تشريع يوحى به، وفي الحديث الذي ذكر فيه عليه السلام فضله على الأنبياء قال: «وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون»^(٢)، وقد مثل عليه السلام ختمه للأنبياء ببناء صرح شامخ كان هو آخر لبنة فيه، وذلك في قوله: «مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويُعجبون به، ويقولون: هلا وُضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»^(٣).

عموم الرسالة:

وإذا كان سيدنا محمد عليه السلام خاتم النبيين، ولن ينزل وحي بعده على بشر، ولن تتصل السماء بالأرض عن طريق رُسل مرة ثانية، فلا بد أن تزود هذه الشريعة التي قدر لها البقاء إلى يوم الدين بالقواعد العامة والأسس القويمة الصالحة لكل زمان ومكان، ولا بد أن يبقى الدليل على صلاحها، والحجة على صدقها ونسبتها إلى الله تعالى قائمة، فتمثل هذا الدليل وهذه الحجة في الدستور الخالد كتاب الله

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) متفق عليه.

المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

فخاطب الله تعالى الجنس البشري كله مهما تناءت به الديار أو امتد به الزمن ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَوْءٌ عَظِيمٌ﴾^(١) وسجل القرآن عموم الرسالة حتى تنقطع الحجج حين قال: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾^(٢) وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾^(٣).

ثم اتجه القرآن إلى أهل الكتاب بخصوصهم حتى لا يظنوا أنهم مستثنون من هذه الدعوة فقال: ﴿يَأْهَلِ الْكِتَابِ فَدَجَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَرَقٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾^(٤) ولم تكن الرسالة قاصرة على الإنس، بل إنها شملت الجن كذلك، وهي تسجل عليهم ذلك في أكثر من موضع من القرآن حيث قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾^(٥) ... الآية، وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾^(٦).

فلم يبق لحكم من الأحكام ولا لشريعة من الشرائع بقاء مع هذه الشريعة الخالدة التي اختارها الله سبحانه، وقال في شأنها: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٧) وأبطل كل دين غير الإسلام في قوله ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا

(١) سورة الحج. الآية: ١.

(٢) سورة الأعراف. الآية: ١٥٨.

(٣) سورة سبأ. الآية: ٢٨.

(٤) سورة المائدة. الآية: ١٩.

(٥) سورة الأحقاف. الآية: ٢٩.

(٦) سورة الجن. الآية: ١.

(٧) سورة آل عمران. الآية: ١٩.

فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴿١﴾ ووضع أسس الحكم الصالح لكل زمان ومكان.

وقد شمل هذا العموم الإنس والجنّ منذ عهد رسالته ﷺ إلى أن تقوم الساعة، كما شمل الملائكة بإرساله ﷺ إليهم إرسال تشریف، وعموم الرسالة من خصوصياته ﷺ، فلم تعمّ رسالة قبل رسالته.

نسخ الإسلام للشرائع السابقة:

النسخ لغة: الإزالة والنقل. ومنه: نسخت الشمس الظلّ. أي أزالته. ونسختُ الكتاب. أي نقلته.

واصطلاحًا: رفع حكم شرعيّ بدليل شرعيّ. والمراد برفع الحكم الشرعي: انقطاع تعلقه بالمكلفين؛ لأنه خطاب الله تعالى، وهو يستحيل رفعه، لأنه قديم، بخلاف التعلق، فإنه حادث.

وإذا ثبت أنه ﷺ خاتم النبيين وأن رسالته عامة وأن شرعه خالد فقد نسخ جميع الشرائع السابقة، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (٢) فنسخ شرعه ﷺ لشرع غيره واقع سماعًا بإجماع المسلمين، خلافًا لليهود والنصارى؛ حيث قالوا: إنه يلزم على القول بالنسخ ظهور مصلحة كانت خفية على الله تعالى. ورُدّ بأن المصلحة تختلف بحسب الأزمنة. فالمصلحة في زمن الأمم السابقة، اقتضت تكليفهم بشرائعهم، والمصلحة في زماننا اقتضت تكليفنا بشريعتنا.

وإذا ثبت ذلك فاعلم أن شرعه ﷺ لا يُنسخُ بغيره لا كُلاً ولا بعضًا، فشرعه ﷺ مستمر إلى يوم القيامة، لقوله ﷺ: «لن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا

(١) سورة آل عمران. الآية: ٨٥.

(٢) سورة آل عمران. الآية: ٨٥.

يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله» أي: الساعة (١).

ومن نفى عموم بعثته ﷺ، فقد كفر، وفي ذلك ردُّ على العيسوية، وهي فرقة من اليهود زعموا تخصيص رسالته ﷺ بالعرب.

ونرد عليهم بأنه: إذا اعترفوا بصدقه في نبوته، لزمهم تصديقه في كل ما جاء به، ومما جاء به أن رسالته عامة للعرب والعجم، وقد أرسل رسله وكتبه إلى ملوك العالم يدعوهم إلى الإسلام.

إشكال وجوابه:

لا يقال إن عموم بعثته ﷺ ليس خاصًا به وحده ﷺ، بل مثله نوح ﷺ، فإنه كان مبعوثًا لجميع من في الأرض بعد الطوفان؛ لأننا نقول إن عموم بعثة نوح ﷺ ليس من أصل البعثة بل أمر اتفاقي؛ لأنه لم يسلم من الهلاك إلا من كان معه في السفينة، وأما عموم بعثة نبينا ﷺ فهو من أصل البعثة.

ويقال أيضًا في الجواب عن ذلك: إن التعميم في حق سيدنا نوح ﷺ خاص بزمنه فقط، أما في حق نبينا ﷺ فهو عام لزمنه وللزمن الذي بعده.

(١) متفق عليه.

الأسئلة

س ١: اذكر ستاً من معجزات سيدنا محمد ﷺ غير القرآن الكريم؟
س ٢: ما معنى الإسراء، والمعراج، وكيف كان ذلك؟ وما الدليل على ماتذكر؟
س ٣: ما حكم منكر الإسراء والمعراج؟ ومنكر براءة سيدتنا السيدة عائشة رضي الله عنها؟

س ٤: قال تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ إلام تشير الآية السابقة، وكيف كان القرآن معجزاً؟ وما وجوه إعجاز القرآن الكريم؟

س ٥: قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ ... ما معنى خاتم النبيين؟، وهل يتناقض مع نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان؟، وما موقف الإسلام من الشرائع السابقة؟.

١٤ - كرامات الأولياء

قال الناظم رحمته الله:

وَأُثْبِتَنَّ لِلأُولِيَا الكَرَامَةَ * * * وَمَنْ نَفَاهَا فأنْبِذَنَّ كَلَامَهُ

مذهب أهل السنة:

اعتقاد جواز ووقوع كرامات الأولياء لهم في الحياة، وبعد الموت. وليس في مذهب من المذاهب الأربعة قول بنفيها بعد الموت، لأن الفاعل لها في الحقيقة هو الله تعالى. واستدلوا على جوازها بأنه: لا يلزم من فرض وقوعها محال، وكل ما كان كذلك، فهو جائز.

وعلى الوقوع بما جاء في الكتاب العزيز من:

١- قصة مريم: قال تعالى: ﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمَرْئِمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ ^(١).

٢- قصة أصحاب الكهف. قال تعالى: ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ ^(٢).

٣- قصة آصف وزير سليمان. قال تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَايِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفَكَ ﴾ ^(٣).

(١) سورة آل عمران. الآية: ٣٧.

(٢) سورة الكهف. الآية: ٢٥.

(٣) سورة النمل. الآية: ٤٠.

تعريف الولي:

هو العارف بالله تعالى وبصفاته المواظبُ على الطاعة، المجتنبُ للمعاصي. بمعنى أنه لا يرتكب معصية بدون توبة. إذ ليس معصومًا. المعرضُ عن الانهماك في اللذات والشهوات المباحة.

وسُمِّيَ وليًّا، لأن الله تولى أمره، فلم يَكِلْهُ إلى نفسه، ولا إلى غيره لحظة، ولأنه يتولى عبادة ربه على الدوام.

مذهب المعتزلة في الكرامة:

قالوا: إن الكرامة مستحيلة، لأنها لو حدثت لأشبهت المعجزة، فيلتبس الولي بالنبوي.

رد أهل السنة:

لا يحدث اشتباه أو التباس، لأن الولي لا يدَّعي النبوة، ولا يتحدى بالكرامة.

المناقشة

س ١: عرف الكرامة؟ واذكر الأدلة على ثبوتها، والفرق بينها وبين المعجزة؟

س ٢: قارن بين مذهب أهل السنة والمعتزلة في كرامات الأولياء من ناحية القوة والضعف، مع التعليل، واذكر أمثلة للكرامات.

١٥ - اعتقادنا في الصحابة

قال الناظم رحمته الله:

وَصَحْبُهُ خَيْرُ الْقُرُونِ فَاسْتَمِعْ * * * فَتَابِعِي فَتَابِعُ لِمَنْ تَبِعُ
وَحَيْرُهُمْ مَنْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ * * * وَأَمْرُهُمْ فِي الْفَضْلِ كَالْخِلَافَةِ
يَلِيهِمْ قَوْمٌ كَرَامٌ بَرَرَهُ * * * عَدَّتْهُمْ سِتُّ تَمَامِ الْعِشْرَةِ
فَأَهْلُ بَدْرِ الْعَظِيمِ الشَّانِ * * * فَأَهْلُ أَحَدِ فَبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ
وَالسَّابِقُونَ فَضْلُهُمْ نَصًّا عُرِفَ * * * هَذَا فِي تَعْيِينِهِمْ قَدْ اخْتَلَفَ
وَأَوَّلِ التَّشَاجِرِ الَّذِي وَرَدَ * * * إِنْ حُضِرَتْ فِيهِ وَاجْتَنِبَ دَاءَ الْحَسَدِ

يرى أهل السنة أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أفضل القرون. لقوله صلى الله عليه وسلم: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضًا من بعدي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مدًا أحدهم ولا نصيفه».

والصحابي هو: مَنْ رَأَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَوْ رَأَى النَّبِيَّ وَأَمِنَ بِهِ.

ثم يليهم في الفضل التابعون. والتابعي هو من صحب أحد الصحابة.

ثم يليهم أتباع التابعين، وهم من عاصروا التابعين.

ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»^(١).

وأفضل الصحابة الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي. وترتيبهم

في الفضل حسب ترتيبهم في تولي الخلافة.

(١) رواه مسلم.

قائمة الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة
٦	أهداف الدراسة في الصف الثاني الثانوي
٨	١- خلق أفعال العباد
٨	أفعال العباد قسماً
٩	المقصود بالكسب عند أهل السنة
١٠	المذاهب في علاقة الأسباب بالمسببات
١٢	٢- التوفيق والخذلان أو الهدى والضلال
١٢	أدلة أهل السنة
١٤	٣- الوعد والوعيد
١٤	الوعيد لغة وشرعاً
١٥	حكم الوعد والوعيد
١٥	أولاً: حكم الوعد
١٥	ثانياً حكم الوعيد
١٦	أدلة الماتريدية
١٧	الجواب عن هذه الأدلة
١٨	ثمرة الخلاف
١٩	٤- السعادة والشقاوة
١٩	السعادة والشقاوة لغة
١٩	السعادة والشقاوة شرعاً

والخلافة هي: النيابة عن النبي ﷺ في عموم مصالح المسلمين. وقد قرر النبي ﷺ مدة الخلافة الراشدة في قوله ﷺ: «**الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تصير ملكاً عَضُوضاً**» أي فيه مشقة على الرعية.

ويلى الخلفاء الأربعة في الفضل بقية العشرة المبشرين بالجنة وهم: طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة عامر بن الجراح.

ويليهم أهل غزوة بدر، فأهل غزوة أحد، فأهل بيعة الرضوان، فالسابقون إلى الإسلام، وهم من صلّوا إلى القبلتين.

وبعض أهل هذه المراتب ربما دخل في بعضها، وربما دخل في الجميع، فقد يكون: سابقاً، خليفة، بدرياً، أحدثياً، رضوائياً. كالخلفاء الأربعة.

وأما ما وقع بين الصحابة من تشاجر كما حدث من عليٍّ ومعاوية، فقد كان ذلك باجتهاد منهم، وللمصيب أجران، وللمخطئ أجر. وقد شهد الله ورسوله لهم بالعدالة. فينبغي عدم الخوض فيما جرى بينهم. فليس من العقائد الدينية. ولا مما ينتفع به في الدين. بل ربما ضرّ في اليقين. ويباح بالقدر الذي يردّ على المتعصبين.

تابع قائمة الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٤٢	٨- النبوات
٤٢	حاجة البشر إلى الرسالة
٤٣	الوحي وأنواعه
٤٣	أولاً: الوحي لغةً واصطلاحاً
٤٣	ثانياً: أنواع الوحي
٤٤	الوحي ممكن الوقوع
٤٥	الفرق بين النبي والرسول
٤٧	حكم إرسال الرسل
٤٩	المذهب الرابع: مذهب أهل السنة
٥٠	حكم الإيمان بالرسول والأنبياء
٥٠	كيفية الإيمان بالرسول والأنبياء
٥٢	النبوة منحة من الله لا تُنال بالكسب والاجتهاد
٥٢	مذهب الفلاسفة
٥٣	أنواع الولاية
٥٥	٩- ما يجب وما يستحيل للرسول
٥٥	١- الأمانة (العصمة)
٥٨	النصوص التي توهم عدم العصمة
٥٨	ما ورد في حق آدم <small>عليه السلام</small>

قائمة الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٢٠	شبهة وجوابها
٢١	والجواب
٢١	السعادة والشقاوة عند الماتريدية
٢٢	المرتّب على الخلاف
٢٣	٥- الصلاح والأصلح
٢٤	ردُّ أهل السنة
٢٤	تعليق
٢٦	٦- القضاء والقدر
٢٧	تعريف القضاء والقدر
٢٧	ب- الماتريدية
٢٨	آراء الفرق في القضاء والقدر
٣٠	هل يجوز الاحتجاج بالقضاء والقدر؟
٣٢	٧- رؤية الله تعالى
٣٥	الرد على المعتزلة
٣٦	هل الخلاف لفظي أو حقيقي؟
٣٦	وأما عن الأمر الثالث فنقول
٣٨	وقوع الرؤية في الآخرة
٣٩	رؤية الله مناماً

تابع قائمة الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥٩	ما ورد في حق إبراهيم عليه السلام
٦١	ما ورد في حق موسى عليه السلام
٦٢	ما ورد في حق يوسف عليه السلام
٦٤	ما ورد في حق داود عليه السلام
٦٥	ما ورد في حق نبينا محمد عليه السلام
٦٩	٢- من الصفات الواجبة للرسول ﷺ الصدق
٦٩	الدليل على وجوب الصدق للرسول
٧١	٣- من الصفات الواجبة للرسول الفطانة
٧٢	سؤال وجواب
٧٣	٤- من الصفات الواجبة للرسول ﷺ التبليغ
٧٣	والدليل على وجوب التبليغ
٧٤	ما يستحيل على الرسول
٧٦	١٠- الجائز في حق الأنبياء والرسول
٨٠	١١- المعجزة
٨٠	تمهيد
٨١	أنواع الخوارق
٨١	شروط المعجزة
٨٤	الفرق بين الخوارق والسحر والشعوذة

تابع قائمة الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٨٧	١٢- معجزات نبينا ﷺ
٨٧	حكم منكر معجزاته عليه السلام
٩١	بعض معجزات سيدنا محمد ﷺ الحسية
٩٦	ما يجب اعتقاده في شأن عائشة رضي الله عنها
٩٧	١٣- محمد خاتم المرسلين
٩٨	ختم رسالته ﷺ للرسالات
٩٨	عموم الرسالة
١٠٠	نسخ الإسلام للشرائع السابقة
١٠١	إشكال وجوابه
١٠٣	١٤- كرامات الأولياء
١٠٣	مذهب أهل السنة
١٠٤	تعريف الولي
١٠٤	مذهب المعتزلة
١٠٤	رد أهل السنة
١٠٥	١٥- اعتقادنا في الصحابة